الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة مولود معمري تيزي وزو
كلية الأداب واللغات

الميدان : لغة وأدب عربي

الفرع : دراسات أدبية

التخصص : أدب عربي حديث ومعاصر

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

دراسة ظاهرة صورة الأنا والآخر في رواية الدروب الشاقة لـ : مولود فرعون

إعداد الطالبتين :

سيليا عماني

دهية تسابيت

إشراف الدكتورة:

- نسيمة لعداوي

لجنة المناقشة :

أد. بوجمعة شتوان	أستاذ التعليم العالي جامعة مولود معمري تيزي وزو	رئيساً
د. نسيمة لعداوي	أستاذة محاضرة "أ" جامعة تيزي وزو	مشرفة
أ. شمس الدين شرقي	أستاذ مساعد قسم "أ" جامعة تيزي وزو	مناقشاً

السنة الجامعية : 2020 – 2021

كلمة شكر وتقدير

لا شكر إلا بعد شكر الله الذي وهبنا القدرة و منحنا الصبر لمواصلة مشوارنا الدراسي.

فالحمد الله الذي وفقنا حتى رأينا حلمنا يتحقق ضمن مذكرتنا و ما كنا لنكمله لولا فضله وتوفيقه عزوجل.

كما نقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المشرفة " نسيمة لعداوي" التي لم تبخل علينا بنصائحها. نسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناتها وجزائها عنا خير جزاء على كل ما قدمته.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر والعرفان إلى اللجنة المناقشة لتفضلهم بالموافقة على مناقشتهم لمذكرتنا.

بالإضافة إلى كل من أمد يد العون لنا من قريب أو بعيد لإتمام مذكرتنا.

بالإضافة إلى زملائنا في الصف نسأل الله أن يوفقهم.

إهداء

إلى والدي الكريمين

إلى إخوتي الأعزاء

إلى أستاذتي الدكتورة الفاضلة "نسيمة لعداوي"

إلى زميلتي في العمل "سيليا" أسأل الله أن يوفقها .

وإلى الأستاذة الفاضلة نعيمة يعمرانن

إلى كل من تمنى لي النجاح والتوفيق

وحفظه قلبي ولم يكتبه قلمي

إليكم جميعا

أهدي هذا العمل المتواضع.

دهية تسابيت

إهداء

إلى والدي الكريمين أبي وأمي

إلى إخوتي الأعزاء

إلى الأستاذة الفاضلة "نسيمة لعداوي" التي وجهتني

إلى زميلتي في العمل

إلى كل من تمنى لي النجاح والسرور

أهدي هذا العمل المتواضع.

سيليا عماني

مقدمة

مقدمة

تعد إشكالية الأنا و الآخر أهم المسائل و القضايا التي تناولتها الرواية العربية عامةً، والجزائرية خاصةً، **تعتبر كذلك من أهم مباحث علم صورة** الأدب المقارن والنقد الثقافي، الذي يعني بدراسة صورة الشعوب من خلال الغوص في خبايا النصوص الأدبية والشعرية لمعرفة عاداتهم وتقاليدهم ومعرفة كيف ينظر شعب إلى شعب آخر.

يعبر الأنا والآخر عن إشكالية صراع عاشتها الأنا ضد الآخر حيث سعت الأنا إلى وضع بصماتها وإضفاء إثرها في العالم أجمع خاصة بعد الصفات التي أطلقها عليها الآخر.

وقد وقع اختيارنا على رواية الدروب الشاقة لمولود فرعون كنموذج للدراسة نظراً للمكانة التي يحتلها هذا النص ضمن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية باعتبارها من أهم الروايات التي عالجت العديد من القضايا المتعلقة بالثورة وإظهارها لصورة المعاناة التي لحقت بالأنا الجزائري من طرف الآخر الفرنسي.

من أجل إزالة الغموض سنحاول الإجابة عن الأسئلة التالية :

- هل تجسدت ظاهرة الأنا والآخر في رواية الدروب الشاقة ؟
- كيف تجلت نظرة الأنا للآخر والآخر للأنا في رواية الدروب الشاقة ؟

ومن الأسباب التي دفعتنا إلى اختيارنا لهذا الموضوع هو شغفنا في الكشف عن ما هو مضمر، وكذلك الكشف عن أهم القضايا التي تطرق لها الروائي مولود فرعون والتي تعكس قضايا معاناة بين الأنا القبائلي والآخر الغربي.

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي التحليلي الموضوعاتي باعتبارهما المنهجين الكفيلين بالكشف عما نحن بصدد البحث فيه، وهو صورة الأنا والآخر، وتماشياً مع هذا المنهج أهدينا في بناء البحث إلى الخطة التالية، حيث قسمنا البحث فيها إلى مقدمة وفصلين وخاتمة، وملحق.

الفصل الأول من هذا البحث كان نظرياً، حيث عنوناه بتحديد المفاهيم فتحدثنا **فيه عن** علم الصورة ومعناها اللغوي والاصطلاحي، وتطرقنا في العنصر الثاني للحديث عن المفاهيم اللغوية والاصطلاحية لثنائية الأنا والآخر في بعض فروع : في الفلسفة والنقد الثقافي، علم النفس، علم الاجتماع. أما الفصل الثاني فهو متعلق بالموضوع، حيث خصصناه لرواية "الدروب الشاقة"، يمثل الجانب التطبيقي في دراسة ظاهرة الأنا والآخر، تناولنا فيه تجليات صورة الأنا في الرواية، ويشمل : شخصيات الأنا، الأنا المهاجرة، الأنا بين الحلم وصدمة الواقع، الأنا المغتربة، الأنا والحنين للوطن، وتجليات صورة الآخر في الرواية يشمل : شخصيات الآخر، الآخر العنصري، الآخر المسيحي، ثم خاتمة تضمنت مجموعة من النتائج المتوصل إليها من خلال البحث.

وقد اعتمدنا في دراستنا على مجموعة من المصادر والمراجع، سهلت علينا سبل التحليل والدراسة، فكانت رواية "الدروب الشاقة" المصدر الرئيسي الذي يعتبر المادة الخام التي إعتمدنا عليها، كما إعتمدنا على كتاب "صورة الآخر في التراث العربي" لماجدة حمود، "صورة الآخر في الشعر العربي" لسعد فهد الذويخ، "صورة الآخر العربي" لطاهر لبيب، "صورة الآخر المختلفة فكرياً (سوسيولوجية الإختلاف والتعصب)" لحيدر علي إبراهيم.

وختاماً نتقدم بالشكر والتقدير لأستاذتنا "نسيمة لعداوي" على ما تفضلت بها من متابعة وتصحيح والتوجيه على هذا البحث، كما نتقدم بالشكر والتقدير لأعضاء اللجنة لما يبذلون من جهد في قراءة بحثنا وتقويمه، نرجو أن نكون وقعنا في الإلمام والإحاطة ولو بجانب من هذا الموضوع متمنيين أن يستفاد منه كما استفدنا منه نحن، نسأل الله تبارك وتعالى التوفيق والسداد.

الفصل الأول

تحديد المفاهيم

الفصل الأول: تحديد المفاهيم

- مفهوم الصورة لغة وإصطلاحاً
- مفهوم الأنا والآخر لغة وإصطلاحاً
- صورة الأنا والآخر

المفهوم والمصطلح

الصّـورة لغـة واصـطـلاحا:

تعـدّدت الاتّجاهـات والحركـات والمـدارس النّقديّـة والأدبيّـة التّـي أولـت الصّـورة مكانـة متميّزة في الإبداع الأدبيّ، فجعلتها مركزه الأساسيّ، بل مكوّن رئيسيّ نظرا لهذا التّعدّد أيضـا، فتعدّدت مفـاهيم الصّورة وتحديدها وأنماطها وأشكالها. إذا نتطرق إلـى مفهوم الصّورة بشكل عام بحيث هناك اتجاها يقوم على حصر الصّورة في الأشكال والأنماط البلاغيّة، كالكناية والاستعارة... فهم مهتمّين بالصّورة اهتماما جزئيّا، وأمّا الاتّجاه الثّانيّ وسّع في مفهوم الصّورة وتجاوز كلّ تلك الأشكال والأنماط البلاغيّة أيْ تجاوز كل ما هو قديم، فهذا الاتّجاه أعطى للصّورة مفهوما حديثا يخلو من ذلك المجاز... بل أصبحت حقيقة تحتوي على خيال وهذا يعود إلى فكر الإنسان فتنتمي الصّورة إلى عالم الفكر أكثر من انتمائها لعالم الواقع. **إذا ما مفهوم الصّورة في اللّغة والاصطلاح ؟**

المفهوم متعلّق عند النّقاد والفلاسفة القدامى والمحدثين (العرب والغرب) ولكن تحديد مفهوم الصّورة صعب جدّا، وهذا يعود إلى سبب اختلاف المذاهب والحركات والمناهج النّقديّة التّي تدرسه.

الصّـورة لغـة:

جاء في **لسان العرب لابن منظور** في باب الصّاد (ص و ر) بمعنى صور: في أسماء الله تعالى: المُصَوِّرُ: وهو الذّي صوّر جميع الموجودات ورتّبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يميّز بها على اختلافها وكثرتها. كالصّورة في الشّكل. نجد في القرآن الكريم آية قال تعالى: ﴿ خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ﴾

وقال **ابن الأثير**: الصّورة ترد في لسان العرب: " على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشّيء وهيئته وعلى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا أيْ صفته".[1] أيْ الصّورة هنا متعلّقة بشكل الشّيء، فكل ما يوجد في هذه الحياة لديه شكله الخاص، أما في **معجم البستان:** ورد أنّ الصّورة تعني: " صَوَرَ، يصور صورا. ما يقال في عنقه صور، صوّره تصويرا جعل له صورة وشكل ورسم، تصوّر الشّيء توهّم صورته، طعنه فتصوّر، أيْ مال لسقوط الصّورة أيضا بضمّ الوجه، شكل الشّيء تمثاله وكلّ ما يصوّر مشبّها بخلق الله من ذوات الأرواح".[2]

"وقد يراد بالصّورة الوجه من الإنسان أو الهيئة من شكل وأمر وصفة."[3]

[1]– ابن منظور لسان العرب:دار الصّادر، بيروت، لبنان، مجلّد 08، ط1، 2001،مادّة(ص و ر)، ص303–304.

[2]– عبد الله البستانيّ: البستان، معجم لغويّ مطوّل، مكتبة لبنان، ط01، 1995، ص624 PDF.

[3]– لسان العرب مادّة (صير) ومادّة (صور).

"أمّا **الصّورة في القرآن:** وردت لفظة الصّورة في عدّة آيات في كتاب الله عزّوجلّ، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾[1]

آل عمران(الآية06)

فتفسير هذه الآية نفهم بأنّ الله وحده القادر على التّصوير والخلق كما يريد سبحانه وتعالى.

وقال تعالى أيضا: ﴿**هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى**﴾[2]

الحشر(الآية24)

المصوّر هنا صفة مطلقة لله عزّوجلّ فهي من أسماء الله الحسنى.

وقال أيضا: ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرضَ وَصوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ المَصِيرُ**﴾[3]

التّغابن(الآية 03)

ففي هذه الآية لفظة الصّورة تعني أنّ الله عزّوجلّ خلقنا في شكل يتّصف بالحسن والجمال.

[1]– القرآن الكريم: سورة آل عمران الآية 06.

[2]– القرآن الكريم: سورة الحشر، الآية 24.

[3]– القرآن الكريم: سورة التّغابن، الآية 03.

الصّورة اصطـــــلاحـا:

كانت الصّور لغة أخرى إلى جانب الكلام، فقد رافقت الإنسان، وهي من أقدم الوسائط التّي عبّرت عن حاجياته. إذا الصّورة عند **عبد القادر الجرجاني** حسب فهمه لها: "الصّورة إنّما هو تمثيل وقياس لما نعمله بعقولنا على الذّي نراه بأبصارنا فما رأينا البنيويّة بين أحادية الأجناس تكون من جهة الصّورة، فكان بين إنسان من إنسان، وفرس من فرس، بخصوصيّة تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك، وكذلك الأمر في المصنوعات فكان بين خاتم من خاتم، سوارا من سوار بذلك....."[1]

نفهم من كلامه هذا "أنّ هناك صلة بين الشّعر الفنون النّفعيّة وطرق النّقش والتّصوير"[2]، بمعنى أنّ خيال الإنسان يعمل على صياغة نوع آخر من الصّور بالتّعديل في أشياء الواقع، ثمّ ينتج نوع آخر وهي بمثابة الرّموز...

إضافة لهذا كانت الصّورة مستعملة من قبله، ولم تكن من ابتداعه، فهي تمثيل وقياس، فإذا كان الاختلاف بين الأشياء الموجودة في الطّبيعة والتّباين الواضح بين المعاني في أبيات الشّعر المختلفة، فإنّ ذلك راجع إلى الصّورة التّي يرسمها النّظم.

[1]–الجرجاني عبد القاهر :الإعجاز ،ص365.

[2]_محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث،دار الثقافة و دار العودة،بيروت 1973،ص168.

فقام **الجرجانيّ** بموازنة بين الشّاعر وعمل الرّسّام في كيفيّة تشكيل مادّتيهما وكيفيّة تأثيرها في نفسيّة المتلقّي(القارئ) ، "فالشّاعر يُحدث هذا عن طريق كلامه(شعره)؛ أي الأحرف والأقوال في قصيدته، أمّا الرّسام عن طريق ألوانه المختلفة والأشكال الموجودة في لوحة رسمه، فيستعمل الريشة والألوان".[1]

أمّا **الجاحظ** فيقول: " فإنّما الشّعر صناعة وضرب من التّصوير".[2]

بمعنى أنّ هناك الكثير من الشّعراء يقولون الشّعر، ولكن ليس الكثير ممّن يجيدونه ويبدعون فيه، ففي هذه المقولة تحدّث عن الشّاعر المبدع والخلاق الذّي يستطيع أن يبرز معانيه ويضعها في صورة رائعة وخاصّة أثناء وجود الخيال فيه، والذّي يجذب القارئ لأنّه يؤثّر في نفسه.

فمصطلح التّصوير عنده متمثّل في ثلاثة دلالات:

مبدأ صياغة الأفكار التّي تعمل على التّأثير واستمالة المتلقيّ نحو سلوك معيّن، ومبدأ التّجسيم أو التّقديم الحسّي للمعنى، مع مبدأ التّأثير والاستمالة والإشارة إذ التّقديم الحسّي للمعنى يجعل الشّعر مماثلا لفن الرسم، ومشابها له في طريقة التّشكيل والصّياغة

[1]_الأستاذ حميد قبايلي:الصورة الشعرية بين ابداع القدامى وابتداع المحدثين،تاريخ النشر: 2009/12/6،(د،ص)،الموقع:startimes.com 00:02 2021/06/23.

[2]_عبد الحميد قاوي:الصورة الشعرية قديما و حديثا،ديوان العرب،منبر حرّ للثقافة و الفكر و الأدب،الجمعة 29(أغسطس)2008(د،ص)،14:35_2021/09/07،www.diwanalarab.com

والتّأثير والتّلقيّ ، وإنْ اختلفا في المادّة التّي يبنى عليها كلّ واحد منهما.[1] أمّا **قدامة بن جعفر** في قضيّة اللّفظ والمعنى يقول: " إنّ المعاني كلّها معرّضة للشّاعر، وله أن يتكلّم منها قيما أحب أثر من غير أن يحضر عليه معنى يروم الكلام فيه، إذ كانت المعاني للشّعر بمنزلة المادّة الموضوعيّة والشّعر فيها كالصّورة، كما يوجد في كلّ صناعة من أنّه لابدّ فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصّورة منها، مثل الخشب للتّجارة، والفضة للصباغة."

بمعنى جعل **قدامة بن جعفر** الشّعر صورة للمعاني؛ فالمعاني كالمادّة الخام للشّعر ومقدرة الشّاعر الحاذق تبرز في اللّفظ والشّكل، لا في المعنى والفكرة، وبالتّالي فإن الصورة عنده _متأثّرة بالمنطق والفلسفة اليونانيّة_"تتعدّد من كونها الوسيلة التّي يستعان بها في تشكيل المادّة وصوغها، شأنها شأن باقي الصناعات وهي أيضا محاكاة حرفية للمادّة الموضوعية، المعنى يزّينها ويحسّنها.[2]"هنا **قدامة بن جعفر** فتح بابا واسعا، فالصّورة عنده أصبحت مقصودة لذاتها؛بمعنى أنّها غاية وليست وسيلة لفهم الشّعر وإضهار جمالياته للمتلقي، فكانت الصّورة عنده جزئية لكن هي لا تهتم بعلوم البلاغة فقط...

[1]– عبد الحميد قاوي: الصّورة الشعريّة قديما وحديثا، ديوان العرب، منبر حرّ للثّقافة والفكر والأدب، الجمعة 29(أغسطس) 2008(د،ص)، 2021/09/07–14:35،www.diwanalarab.com

[2]_نفسه.

مفـهـوم الصّـورة حديــثا:

نجد الدّكتور **(علي البطل)** يقول: " إنّها تشكيل لغويّ يُكوّنُهَا خيال الفنّان من معطيات متعدّدة، يقف العالم المحسوس في مقدّمتها، لأنّ أغلب الصّور مستمدّة من الحواس على جانب ما لا يمكن إغفاله من الصّورة النّفسيّة والعقليّة".[1]

بمعنى الصّورة تدخل في علم البلاغة العربيّة كالتّشبيه والكناية، فيشكّلها خيال الفنّان أو الشّاعر، ولديها ارتباط بالعالم المحسوس فهو العالم الخارجي، أمّا حسب السّريانيّة فقد اهتمّت بالصّورة على أساس أنّها "جوهر الشّعر ولبّه وجعلت منها فيضا يتلقّاه الشّاعر نابعا من وجدانه، وبذلك تبدو الصّورة خياليّة وحالمة".[2]

أمّا عند **عزّ الدّين إسماعيل** قال بأنّ: " الصّورة تركيبة عقليّة تنتمي في جوهرها إلى عالم الفكر أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع".[3] أيْ أنّ الصّورة تنتمي إلى فكر الإنسان أكثر من انتمائها للواقع.

"فالصورة في مختلف الفنون أساس محوري في جمع وإكتناز وعرض أسرار كل إنتاج إبداعي فني، لأن الإنتاج الإبداعي لا يكون فنياً إلا إذا تشبع بالصور التي تنعم بها الحواس

[1]– علي البطل : الصّورة في الشّعر العربيّ كآخر القرن الثّاني الهجري، ص30.

[2]– عبد الحميد قاوي: الصّورة الشعريّة قديما وحديثا، ديوان العرب.

[3]– خالد علي الحسيني غزالي:أنماط الصّورة والدّلالة النّفسيّة في الشّعر العربيّ الحديث في اليمن،مجلّة جامعة دمشق، سوريا 27، ع1و2، 2011،ص258.

سمعاً وبصراً وتتلذذ بها، فتوقظ الخيال وتنهب به بعيداً في الإبداع، وتحرك المشاعر فتعود بها إلى جذور انسانيتها وأصالتها. كذلك لا يكون الأدب أدباً بلا كلاماً تواصلياً تبليغياً عادياً إلا إذا إكتنز صوراً فنية ينبهر بها القارئ والمستمع، فيتلذذ ويستمتع فتحرك مشاعره وتجول به مخيلته عبر أجنحة تلك الصورة البلاغية فتحرك مشاعره وتحيا."[1]

أماّ الصّورة عند النّقّاد الفرنسيين منهم: الشّاعر الفرنسيّ(**Pierre Revardi**): يقول بأنّ الصّورة: "إبداع ذهنيّ صرف، وهي لا يمكن أن تنبثق من المقارنة وإنّما تنشقّ مع الجمع بين حقيقتين واقعيتين تتفاوتان في البعد قلّة وكثرة، ولا يمكن إحداث صورة المقارنة بين حقيقتين بعيدتين لم يدرك ما بينهما من علاقات سوى العقل".[2] فنفهم من مقولته هذه بأنّ الصّورة إبداع ذهنيّ، من خيال المرء، فالعقل هو الذّي يدرك علاقتها.

أمّا عند(**Henri Baggo**) فيقول بأنّها: "كلّ صورة تنبثق عن إحساس مهما كان ضئيلا(الانا) بالمقارنة مع مكان آخر، الصّورة هي إذن تعبير أدبيّ أو غي أدبيّ عن انزياح ذي مغزى بين منظومتين من الواقع الثّقافيّ، إنّنا نجد مع مفهوم الانزياح البعد الأجنبي الذّي

[1]– أ د نسيمة لعداوي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه " ترجمة الصورة البلاغية في الرواية الجزائرية رواية مولود فرعون الدروب الشاقة أنموذجاً"، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2017، ص 32.

[2]– مجدي هبة: معجم المصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، (د،ط) 1974،ص 237.

يؤسّس كلّ فكر مقارنيّ".[1] بمعنى أنّ الصورة تتشكّل من عنصرين أساسيين هما: (الأنا والآخر).

أمّا عند (**Jean-Marc-Mora**) يقول: " خلقتها الحساسيّة الخاصّة للأديب".[2] بمعنى أنّ الأديب (الأنا) مع الآخر عليه بناء علاقة مشتركة سواء عن طريق العمل أو الأسفار مع الآخر الأجنبيّ.

فهنا يكون إنتاج الصّورة جماعيّة مع ثقافة مجتمع آخر، وتستطيع أن تكون فرديّا من إبداع ذات مفردة.

من هنا نتطرّق إلى أنواع الصّورة، فهناك صورة عيانيّة والصّورة المعبّرة عن التّمثيل العقليّ والصّورة الذّهنيّة التّي توجد في الدّماغ، وهناك أيضا الصّورة الخاصّة بالمؤسّسات أو الأفراد كصورة الذّات والآخر في الدّراسات الاجتماعيّة وهناك أيضا صورة الذّاكرة والصّورة الرّقميّة والفوتوغرافيّة والتّلفزيونيّة وغيرها من أنواع الصّور المستجدّة، إضافة إلى الصّورة النّمطيّة والمرجعيّة والصّورة الحسيّة. ففي الأخير نستنتج أنّ الصّورة التّي تقدّمها الآداب القوميّة للشّعوب الأخرى تشكّل مصدرا أساسيّا من مصادر سوء التّفاهم بين الدّول والأمم والثّقافيّات سواء كان إيجابيّا أو سلبيّا وتعني سوء الفهم السّلب ذلك النّوع النّاجم عن الصّورة العدائيّة التّي يقدّمها أدب قوميّ ما عن شعب آخر أو شعوب أخرى.

---

[1]- دانييل هنري باجو: الأدب العام والمقارن ص91.

[2]- J .M.Moura :L'Europe litteraire et l'ailleurs,Presses universitaire de France 1988 ,P42.

ثنـــائـــيّـــة الأنـــا والآخـــــر:

1- الأنـــا لغـــة واصـــطـــلاحـــا:

أوّلا نتعرّف على معنى الهويّة، لأنّ الهويّة تدخل ضمن الأنا، ونعني بها الجنسيّة؛ فالجنسيّة بمعنى من أيِّ بلد (أصله)؟ وإلى أيّ ثقافة ينتمي؟ كانتمائه إلى المنظومة الاجتماعيّة (كالانتماء إلى طبقة جنسيّة أو اجتماعيّة وهي تتيح للفرد التّعرف على ذاته وأيضا تمكّن المجتمع من التّعرّف عليه).

فالهويّة من الجانب اللّغويّ:

مأخوذة من الضّمير الغائب "هو" بمعنى معرفة حقيقة الشّيء كما هو موجود، فعرّفها "الجرجانيّ" في كتابه التّعريفات يقول: " بأنّها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النّواة على الشّجرة في الغيب"[1].

أمّا من الجانب الاصطلاحيّ: يقول **(ابن رشد)**: " أنّ الهويّة تقال بترادف للمعنى الذّي تطلق على اسم الموجود وهي مشتقّة من الهُوَ كما تشتقّ الإنسانيّة من الإنسان".[2]

أمّا **(جاك بيرك)** فيرى أنّ الهويّة تتحدّد من خلال: " الاستمراريّة والتّحوّل لأنّه لا توجد هويّة من دون تعبير. في الهويّة يلتحم الذّاتيّ مع الموضوعيّ من خلال تبادل كلّ من الأنا

[1]– الجرجانيّ الشّريف: كتاب التّعريفات، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 1983، نسخة رقميّة مطبقة للمطبوع، أطلع عليه بتاريخ 2015/01/19.

[2]–ابن رشد: تلخيص ما بعد الطبيعة لأرسطو طاليس، تحقيق عثمان أمين، القاهرة، مصر، 1958،ص11.

والآخر النّظرة إلى هويّتها.الهويّة نشطة وحركيّة".[1] فأمّا الدّكتور **ماجدة حمود** عرّف الهويّة كالآتيّ: " أن الهويّة تتشكّل من أدغال الذّات"[2].

فذات الإنسان تعني الأنا؛ أي أنّ المرء أثناء وجود ما يقلقه أو شيء ما يهدّده يسرع إلى تأكيد ذاته، باحثا عن شيء أصيل يستند إليه كي يحسّ بالاطمئنان والثّقة والأمان لمواجهة الخطر، فنجدها عبر انتماءات ومكوّنات تتعلّق بالجنس ، والطبقة الاجتماعيّة والموروث الثّقافيّ.وأشار الدّكتور **(نجيب محمود)** في كتابه أنّ الهويّة خاصّة حيث قال: " لا تصان...إلّا بأن يتمسّك الشّعب بثقافته التّي ورثها عن أسلافه؛ أيْ في العقيدة وفي اللّغة وفي الفنّ وفي الأدب، وفي كثير من النّظم الاجتماعيّة".[3]

بمعنى أنّ الهويّة كي تصان وتبقى محميّة وتبقى للأبد، على الأجيال أن ترث عادات وتقاليد أجدادها، وعليهم بتعلّم لغة أسلافهم والطقوس الخّاصة بهم (كالزّواج مثلا)، وكذا تعلّم الأدب والدّين والشؤون الجماعيّة..الخ فمثلا في روايتنا الدّروب الشّاقة تدخل فيها كلّ هذه العناصر حيث يتكلمون اللغة القبائلية.

ويتزوجون فيما بينهم؛من نفس القرية كزواج مقران من ويزة وأيضا يجتمعون في "الجماعة"؛فهي مكان يلتقي فيه أهل القرية لتبادل أطراف الحديث ومعالجة شؤون القرية.

---

[1]– جاك بيرك: 1995/1910 هو مستشرق ومؤرخ فرنسيّ.

[2]– د.ماجدة حمود: إشكاليّة الأنا والآخر(نماذج روائيّة عربيّة) ر398، دولة الكويت (د،ط) مارس 2013،ص 140.

[3]–د،ماجدة حمود،اشكالية الأنا و الآخر(نماذج روائية)،ص155.

فالهويّة في الأصل هي أصل المرء والبيئة أين يعيش ومعرفة جنسيته، فالمثقّفون بدأوا يرفضون قمع إرادة التّغيير وعرقلته؛ أي تجاوز الحواجز العقائديّة والعرقيّة التّي تقيّمها الأنا لأنّ الذّات الخائفة من الإمحاء.

أمّا **(أمين معلوف)** يرى أنّ هويّته في إطار التّعدديّة حيث سألوا عن هويته هل هي فرنسيّة أم لبنانيّة؟ فأجاب بهذا الجواب: "هذا وهذاك؟"[1] فنفهم من إجابته أنّه لا فرنسيّ ولا لبنانيّ، ليس لديه جنسيّة واحدة، فالهويّة لا يمكن أن تتجزّأ إلى أصناف، بل واحدة ثابتة تتشكّل عند كلّ شخص وهذا يعود إلى العناصر التالية كالانتماء إلى عادات وتقاليد منطقة معينة ؛إما في الدين أو اللّغة.... ونفهم أيضا من جوابه كذلك أنّه ربّما يكون فرنسيّ ولبنانيّ، بمعنى أن لديه جنسيتين. وهذا ينطبق على روايتنا " **الدّروب الشّاقّة** "، فسؤال أعمر نفسه إذا كان قبائليّ أو فرنسيّ؟ والمقطع جاء كالآتيّ: "لكن هل أنا قبائليّ أم فرنسيّ؟" فعناصر الهويّة ليست فطريّة يلد بها الإنسان بل هي أقرب إلى المفهوم الاجتماعيّ؛ أي يكتسبها من المجتمع أو الحيّ الذّي ينتمي إليه. فالهويّة موجودة في كلّ النّصوص التّي كتبت في مرحلة الاستعمار، فهي عبارة عن خطابات أو يمكن تسميتها "بخطابات الهجينة".[2]

[1]– د. وليد خضور: النّقد الثّقافيّ مرجعيات وتطبيقات(د.د)، جامعة برج بوعريريج، الجزائر، (د،ت)ص160.pdf

[2]_د،وليد خضور،النقد الثقافي مرجعيات و تطبيقات،ص161.

حيث تتصارع فيها ثقافة وهويّة الشّعوب المستعمرة مع المنظومات الثّقافيّة الدّولة الأخرة المستعمرة، من هذا تنتج النّصوص المثيرة للجدل والمتوترّة. حيث أن االإستعمار ترك آثارا في الشّعوب سواء في المستعمِر أو المستعمَر، أين لمس عنصر اللّغة والهويّة.

أمّا الهويّة والغيريّة هي كلّ ما يتكوّن من الأنا؛ فالأنا لا يتحدّدّ لوحده إلّا باختلافه مع غيره في النّقد الثّقافيّ.

فالهويّة تتميّز بعناصر عديدة منها:

أ/ عناصر ماديّة فيزيائية:

كالأسماء والملابس والمساكن، ففي روايتنا نجد هذه العناصر حيث الأسماء تتمثّل في: (أعمر، ذهبيّة، نانّة، مالحة، مقران، كمومة، ويزة، ودحمان، شعبان، موح، المدام.....).

أمّا عنصر اللّباس نجد "المحرمة" فهي عبارة عن "غطاء من القماش تستر بها النّساء رؤوسهنّ في منطقة القبائل".[1] أمّا الفوطة وهي نوع خاصّ من القماش يربطنه نساء القبائل حول خصرهن، ويضيفونها عل جببهنّ القبائليّة.فالجبّة نقصد بها تنّورة خاصّة تلبسها المرأة القبائليّة خاصّة في القديم لتكون معروفة، فكلّ هذا يصنّف إلى الحيازات.ونجد كذلك في هذا العنصر القوّة الاقتصاديّة والماليّة والعقليّة وتصنّف إلى القدرات. أمّا التنظيمات الماليّة:

[1]– مولود فرعون: الدروب الشّاقّة، تر:حسن بن يحي،دار تلانتيقيت للنّشر، ط4، نهج سي الحواس، بجاية 06000، الجزائر 2016، ص05.

فتتمثّل في التنظيمات الإقليمية والدّوليّة والمحليّة، أمّا الانتماءات الفيزيائيّة كالانتماء الاجتماعيّ والتّنوّع الجغرافيّ والسّمات الفيزيولوجيّة.

ب/ عناصر تاريخيّة: ونجد فيها:

الأصول التّاريخيّة :

كالأسلاف والقرابة والقبيلة، فهذا أيضا ينطبق على روايتنا" الدّروب الشّاقّة" فالأسلاف نجد كل من: "دادّا أحمد، كمومة" أمّا القرابة نجد: "ذهبية" فهي ابنت عمّ أعمر، أمّا القبيلة تتمثّل في قرية "إغيل نزمان" و"آث واضو".

الأحداث التّاريخيّة الهامّة: تحوّلات السياسية، التنشئة الإجتماعيّة والآثار التّاريخيّة كالعقائد والعادات والتّقاليد.فالعادات والتّقاليد في رواية" الدّروب الشّاقّة" نجد كمثال طقوس الزّواج (زواج مقران من ويزة أيت حموش) فأمّا أعمر فأحبّ ابنت عمّه ذهبية. وأيضا من عادات وتقاليد منطقة القبائل معروفة بقضيّة الشّرف"[1].وأيضا نجد كل عائلات مناطق القبائل تبدأ ب: "**أيت أو آث**" فنجد في الرّواية عائلة: أيت شعبان، أيت سليمان، أيت حموش، أيت العربيّ. ومعروفة أيضا هذه المناطق بجمع الزّيتون.[2]

[1]– مولود فرعون: الدروب الشّاقّة، تر:حسين بن يحي،دار تلانتيقيت للنّشر، ط4، نهج سي الحواس، بجاية 06000، الجزائر 2016، ص 17.

[2]– المرجع نفسه، ص09.

ج/ عناصر ثقافيّة:

الأثر الثّقافيّ (كالدّيانات والرّموز الثّقافيّة وأشكال التّعبير المختلفة) فنجد في روايتنا الدّيانة الإسلاميّة منهم المرابطون فهم متديّنون بالإسلام الشّرفاء من أهل قرى بلاد القبائل[1]. والأثر المعرفيّ والسّمات النّفسيّة الخاصّة، ونظام القيم، ونجد كذلك الدّيانة المسيحيّة(فهو دين المستعمر) فهو دين فرنسا التّي استعمرت منطقة القبائل.

د/ عناصر نفسيّة اجتماعيّة:

نجد القيم الاجتماعيّة: الكفاءة والنّوعيّة والقدرة. أما القيم النّفسيّة: فهي نمط السّلوك والقدرة على التّكيف، مثلا ذهب أعمر وسعيد إلى فرنسا؛[2] فكان عليهما أن يتكيّفا مع ذلك البلد ليحقّقوا مرادهم.

مفهوم الأنا (لغة واصطلاحا):

لغة:

جاء في معجم الوسيط: أنّ كلمة "أنا" هو "ضمير رفع للمتكلّم أو المتكلّمة".[3] بمعنى (أنا) ضمير من ضمائر المتكلّم فنوظفه سواء للذكر أو الأنثى؛ أي لكلاّ الجنسيين.

---

[1]– المرجع نفسه، ص19.

[2]– المرجع نفسه، ص118.

[3]– ينظر، إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط: ج1، المكتبة الإسلاميّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، تركيا، ط2، 1972، ص28.

أنا الضّمير المتكلّم والألف الأخير فيها، إنّما هي لبيان الحركة في الوقت، فإن مضيت عليها سقطت كقولك: أنا فعلت.

أمّا حسب المعجم العربيّ عامّة، فهو إدراك الشّخص لذاته أو هويته[1].

اصطلاحا:

"يقال في مقابل الذّات (le même) أو الأنا أمّا هذه الأخيرة الذّات فلا معنى لها سوى أنّها المقابل للآخر(autre) تقابل، تعارض أو أنّها المطابقة لنفسه المعبّر عنها (l'identie)[2]".

"فأنا تعني دائما الفرد؛ أي الموضوع القائم بذاته القاعديّ المرتبط بالرّوح، أو الحامل الماديّ للنّشاط الذّي يكتسب واقعيّة الحياة في التّعامل فقط مع شخص آخر أي (أنت)".[3] وأيضا"أن الإنسان يبدأ التّساؤل عن ذاته فيبدأ بمفهوم الآخر(other) بالشّكل فينشطر الأنا إلى ذات وموضوع".[4] بمعنى أنّ الآخر(l'autre) يحتاج إلى ربط مع الأنا (le moi) فلا يمكن الفصل بينهما فالأنا يحتاج للآخر والآخر يحتاج للأنا....

[1]– من الأنترنت: 15:00، 2021/09/28– https:// www.maajim.com

[2]– محمّد عبد الجابريّ: الاسلام والغرب(الأنا والآخر):ج1، الشّبكة العربيّة للأبحاث والنّشر، بيروت، لبنان، ط2009،1، ص21.

[3]– ايغوركون: البحث عن الذّات دراسة في الشّخصيّة ووعي الذّات، تر، غسّان أدب نصر، منشورات دار المعدّ للنّشر والتّوزيع، دمشق، (د.ط) 1992،ص10–11.

[4]– ينظر أحمد برقاوي: الأنا، دمشق،(د.ط)، 2005، ص13.

يعرّفه **ابن سينا** من خلال كتابه "**رسالة في معرفة النّفس النّاطقة وأحوالها**"الجوهر الثّابت والكيانة والماورائي الميتافيزيقيّ الذّي لا يتغيّر فالأنا دائما يقابله اللاأنا أو الآخر.

نتطرّق إلى مفهوم الأنا في كلّ من النّقد الثّقافيّ والفلسفة.

أ- في النّقد الثّقافيّ:

يدخل في إطار نظريّة التّحليل النّفسيّ، فالعلماء والرّواد يرون أن النّظريّات الموجودة في هذا التّحليل النّفسيّ كالنّظريّة الفرويديّة واليانجيّة هي الأكثر إشاعة في الثقافات"[1]، فيستخدمون هذه النّظريات بكثرة فيحتاجونها في العديد من النّصوص والثّقافة الشعبيّة.فأكّد "**فرويد**"-**من أهمّ الفلاسفة الذّين تحدّثوا عن النّفس في هذا الكتاب**- فيقول بأنّ النّفس لديها مستويات وأنظمة مختلفة من الإدراك وتتمثّل في الوعي والوعيّ المسبق واللّاوعيّ فيعرف، فافتراض فرويد الطّوبوغرافيّ ثمّ التّفريق بين هذه الأنظمة، فالإدراك يشير إلى ما ندركه (بعقلنا) وهو يعدّ جزءا لا نهائيّا من النّفس، فيبدأ الأنا في العمل في فترة مبكرة من عمر الإنسان قد يكون عند سنة أو ستة أشهر،[2] ويهتمّ بالبيئة لأنّ "الأنا" سيشارك في التّأكيد من أنّ الهويّة يؤمن رضاؤه فالهو يسبق عملية تطوير الأنا والأنا العليا، فالهو من الهويّة فعند "فرويد" على أنّه الممثّل النّفسيّ للدّوافع، فهو يقف الآن مضادّا للأنا العليا وهو ما يمثّل الضّمير والمعتقدات الأخلاقيّة فالهو موجودة في مكان ما وفي اتّصال مباشر مع

[1]- أرثر أيزابرجر :تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويّ، النّقد الثّقافيّ(تمهيد مبدئي للمفاهيم الرّئيسيّة) ر603، شارع الجبلاية بالأوبرا ،الجزيرة القاهرة (د.ط)(د.ت) ص157 pdf.

[2]- ينظر: المرجع نفسه ص160.

العمليّة الجسديّة ويأخذ منها الاحتياجات الغريزيّة كما يمنحها التّمثيل العقليّ ويعدّ الهو مصدر الطّاقة ويجب أن لا يتمّ كبته .

إذا الأنا المستثنى عن الدّوافع وخدمة لهذه الوظيفة فإنّه عادة ما يتوسّط بين "الهو" و"الأنا العليا" في محاولة لتحقيق التّوازن بينهما. فالأنا في علم التّحليل النّفسيّ يعدّ جزءا من الجهاز العقليّ والذّي يعدّ الوسيط بين الشّخص والواقع؛أي نفهم من هذا الكلام أنّ الأنا منبثق من فكر الإنسان وإدراكه، والأنا مرتبطة بالشّخص ذاته بين المجتمع الذّي يعيش فيه، فتعايشه الاجتماعيّ يقتضي ضرورة تشكيل نسيج من العلاقات بين الأفراد ويحكمها التّفاعل المتبادل تأثيرا وتأثرا.... فالوعي في الجهاز العقليّ هو الأساس لمعرفة الذّات وأيُّ غياب للوعي يعتبر غياب للذّات وانعدامها، لأنّ بها يستطيع الإنسان أن يتطلّع عمّا بداخله (أعماقه) من حالات نفسيّة شعوريّة، فوظيفته الأولى هي استيعاب الواقع والكيف معه .[1]

بمعنى تسعى للتّعبير عن ذاته وإثبات وجوده ثمّ تمييزها عن غيرها(الواقع والمجتمع) وأنّها لا تستطيع أن تتخلى عن الواقع ويجب التّكيف معه لأنّ الإنسان اجتماعيّ بطبعه لا يستطيع أن ينفصل عن الجماعة، فالشّيء الأساسيّ للأنا هو الاستيعاب؛ كالاستيعاب الذّاتي والإدراك الذّاتيّ والسّيطرة والتّكيف مع الواقع. ففي التّحليل التّركيبيّ نجد في الغالب الشّخصيّات في النّصوص الأدبيّة كالرّواية والقصّة والأسطورة، فمثلا في روايتنا"الدّروب الشّاقّة" هناك العديد من الشّخصيّات، كأعمر وذهبية وكمومة وننة مالحة وشعبان ومقران

[1]– أرثر أيزابرجر،تر:وفاء ابراهيم و رمضان بسطاوي،النقد الثقافي،ص160.pdf

وويزة وموح والمدام ورحمة....فيمكن وصف هذه الشّخصيّات بلأنا ووظائفها.بمعنى تتناول علاقة الفرد ببيئته.

فمن هنا نرى مكوّنات الشّخصيّة عند "فرويد" تحدّث عن الهو والأنا والأنا العليا، فالأنا العليا تمثّل الضّمير فوفق على أنّها نظام في عقولنا الذّي يشارك كل من الضّمير والأخلاقيات والتّطلّعات المثاليّة، فالأنا العليا تستحقّ الاهتمام كثيرا مقارنة بالهو والأنا، أما حسب "**تشارلز برنر**" أشار إلى وظائف الأنا العليا حيث تتمثّل في: الموافقة أو الرّفض على الأفعال والرّغبات على أساس الصّواب والمراقبة الذّاتيّة الإنتقاديّة إضافة إلى المعاقبة الذّاتيّة ثمّ المطالبة بالتّأنيب أو النّدم على ارتكاب الأخطاء. فالوظيف الأخير يعني أنّ ذات الإنسان تحسّ بالذّنب أو ما يسمّى بتأنيب الضمير أو الحسرة أثناء ارتكابه للأخطاء، فعليه أن يصفّي حساباته مع نفسه ثمّ مع غيره فهذه الأخيرة عادة ما تكون الأفضل ولها إدراكيّة. فيرى "**برنر**" عندهم "مرتبطة بأسلافهم"[1]؛ يقصد بذلك أنّها ورثت أنّها إرث من آبائنا وأجدادنا حيث تعلّمنا منهم كلّ العادات والتّقاليد واللّغة والدّين والأحاسيس....وكلّ ما يتعلّق ببيئتهم. فهناك نقّاد آخرون قالوا بأنّ الأنا العليا ليست مرتبطة فقط بأبنائنا، بل يتوقّف على الأسلوب الذّي نتعامل به مع عقدتهم الأوديبيّة، فهذه العمليّة تسمّى الأنا العليا وفق نظريّة التّحليل النّفسيّ بسبب رفض أحيانا لرغبات عدائيّة، فمن هنا يكتسب الشّخص الشّحناء فتبقى على شكل مكبوتات كعقدة أوديب.

[1]– ينظر :المرجع نفسه،ص161.

أشار فرويد إلى هذه العقدة حيث قال بأنّها عقدة ليست بيئيّة بل طبيعيّة يلد بها الإنسان؛ أي فطريّة، حيث أنّ أوديب أحبّ أمّه ويغار من أبيه فهذا مرض يسمّى "الهستيريا" ويأتي من الاضطرابات العصبيّة فيقول "فرويد" أنّ عقدة أوديب موجودة عند الجميع لأنّها طبيعيّة، فالشّيء الوحيد الذّي يدفع إلى الاهتمام للأنا هي المكبوتات.[1] أمّا عند "**ليتولستوي**" في روايته الشّهيرة "أناكارنينا" حيث قال عن نفسه" أنا الفنّان الشّاعر أكتب وأعلم دون أن أعرف أنا نفسي ماذا أعلم!"[2] مدح نفسه على أنّه لا ينقصه شيء فلديه عملا وأجرا ممتازا، ومسكن وأصدقاء ويلهو مع النّساء فحصل على المجد. ففي مقولته هذه وظّف الضّمير (أنا) فهو المتكلّم.فهذا أيضا ينطبق على روايتنا "الدّروب الشّاقّة" لمولود فرعون؛ فقد وظّف (أنا) لأنّه هو المتكلّم، تحدّث لنا عن حياته الشّخصيّة فهو تحت الاستعمار الفرنسيّ فهو (الآخر)، يحكي لنا كيف عاش في قريته" إغيل نزمان" وهذا نجده يكثر في الجزء الثّاني في روايته بعنوان " يوميات أعمر". أعمر هي الشّخصيّة الرّئيسيّة ومثلا: "اسمي أعمر" ، "أما أنا حملت اسم والديّ" ، "أنا ابنها الوحيد"، "أصبحت يتيما وأنا لا أزال في بطن أمّي" ، " ها أنا عدت إلى الدّار" ، "وأغلقت الباب لن أفتحها لأحد" ، "فقدان والدتي" ، "أثار غضبيّ" ، "كنت متأكّد" "لا أقدر على دفع التّكاليف".[3] وأيضا شعراء العرب اعتمدوا على أنفسهم،

---

[1]– ينظر:أرثر أيزابرجر،تر:وفاء ابراهيم و رمضان بسطاويسى،النقد الثقافي،ص162.pdf

[2]– ينظر: الأستاذ الدّكتور بدوي طبانة، قضايا النّقد الأدبي، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، الهيئة السّامة لمكتبة الإسكندريّة، ر809،(د.ط)(1404-1984م)ص20.pdf

[3]– مولود فرعون: الدّروب الشّاقّة،تر: حسين بن يحي، دار تلانتيفين للنّشر، ط4، نهج سي الحواس، بجاية 06000 الجزائر2016،ص97.

معرفة الشّاعر العربيّ نفسه بوصف ذاته، فيصف هذه الذّات بأنّها لغة فهذه اللّغة أداة كثيف وإفصاح وإيصال هذه المعرفية بالذّات وهي الشّرط الأوّل والبديهيّ لكتابة الحداثة تعبيرا عن الذّات، إنّما هي في الوقت نفسه الشّرط البديهيّ للعلاقة مع الآخر"[1]أي الذات هنا جعلها لغة فهذه اللّغة عبارة عن وسيلة إيصال بين النفس أوبين النّفس والآخر، فهذه اللّغة يحتاجها المرء من أجل التّعبير عما في داخله ولها علاقة مع الغير.

أشار "**عبد الله الغذاميّ**" في كتابه "النّقد الثّقافيّ" إلى أنا الحق وأنا المطلق، هنا أشار إلى أدونيس حيث قال: "بأنّه أراد أن يكون أبا لذاته وهو أب أسطوريّ"، وما تشرع في قراءة النّصوص حتّى تصدمك الأنا الأدونيسيّة بفخمتها المسرفة بالتّعالي الأسطوريّ في تفرد... أنا العالم مكتوبا، وأنا معنى، وأنامعني وأنا الموت، أنا سماء وأتكلّم لغة الأرض، وأنا التّموّج وأنا النّور وأنا الأشكال كلّها وأنا الدّاعية والحجّة...ويرى ذاته أنّها القضاء الكونيّ كلّه: أنا الموزّع بين زحل والزّهرة وعطارد وأنا صوت ترتجّل الفضاء وأنا الحجر يتطوّر وقراره الموج، وأنا الصّارية ولا شيء يعلوني، لذا ترى الذّات ذاتها درجة النّبوّة، وتسمّي طفلها بسمة النّبيّ والخالق، وبما أنّه كذلك فإنّ الأنا تضيّق على الأنا ويصير العالم نافذة لا تتّسع لأهداف هذه

[1]– ينظر:الأستاذ اليامين بن تومي، النّص والإجراء من النّقد النّسقيّ إلى النّقد الثّقافيّ، جامعة سطيف ص157.

الذّات المتعالية هذا العلوّ، وتنتهي بأن تنادي: اقتربي أيّتها الرّيح اجتمعي إليّ...[1] وعندما تبلغ الذّات حدّ الثّقة المطلقة فتسأل: " أيّتها الشّمس ماذا تريدين منّي؟"[2]

فالشّاعر أو الفحل النّسقيّ هنا هو المتفرّد المتميّز وهو مركز الاستقطاب الذّاتيّ، ومجال رؤية الذّات لذاتها بوصفها مركز الكون، وبما أنّها ذات خصوصيّة كيانيّة متعالية. من هنا يصف أدونيس فكرة الشّاعر الجديد....من حيث أنّه الذّي يخلق أشياء العالم بطريقة جديدة، وهذه جملة ثقافيّة نسقيّة تصف بها الذّات فعلها وتمنحه الصّفات والمزايا التّي تريدها بطريقة إدعائيّة، والذّات فيها هي الدّاعية والحجّة، حسب عبارات أدونيس ذاته والشّاعر هو الفائق والخارق، وهو أكثر من ذلك التّي والمتألّمة بفعل من ذاتها ودعوى منه.

ومنه اتّخذ الأب الحداثيّ لنفسه مسعى ذا بعد أسطوريّ وهو في صدد تصنيف الذّات وتتويجها على صورة (البعل) الأسطوري....وإن كانت الثّقافة القديمة تعبّر عن معانيها بالرّسم فإنّ أدونيس يتوسّل باللّغة لخلق الصّورة الفحولية لذات الشّاعرة عبر القول الشعري وعبر التنظير"[3]، ثم يضع الشاعر فوق الشعر، وبما أنّ شعره اللّهب وما هو أبعد من اللّهب فإنّه يشرع في إحلال نفسه محلّ كلّ من عداه، ووقوف الجميع....فالشّاعر فحل الفحول الذّي يصف نفسه كالآتي:

---

[1]– عبد الله الغذاميّ: النّقد الثّقافيّ (قراءة في الأنساق الثقافيّة العربيّة المركز الثّقافيّ العربيّ، شارع جان دارك بناية المقدسيّ، لبنان، بيروت، ط1، 2005، ص273، pdf

[2]– المرجع نفسه ،ص274 pdf.

[3]_عبد الله الغذامي:النقد الثقافي(قراءة في الأنساق الثقافية العربيةالمركز الثقافي العربي)ص276_ص278.

مالك ملكه الأرض والسّماء

شعره النّبات

جسده الأقاليم

عروقه الأنهار

ويداه جناحان يمشي بهما في الفضاء

ظاهرة بريطانيّة بحر

أو

كما قيل

أخرج إلى الأرض أيّها الطّفل.

هذا هو المشهد الذّي يسمّي نفسه أدونيس، والذّي يشهد ميلاد ذاته، ويحدّد سمات هذه الذّات الخارقة الذّات البعوليّة الأبويّة، وبما أنّه كذلك بالضّرورة الفحوليّة ناف للآخر".[1]

ب- الأنا في الفلسفة:

الأنا بالمعنى الفلسفيّ تدلّ على جوهر الذّات أي حقيقته، ومن بين الفلاسفة الذّين تحدّثوا عن الأنا نجد الفيلسوف(**روني ديكارت**) في فكرة **الكوجيتو** حيث قال: "أنا أفكر إذن أنا موجود".[2] بمعنى أنّ الذّات لا تنقطع عن التّفكير إلّا إذا انعدم وجودها، ومن خلال عملية

[1] – المرجع نفسه ص279-ص280.

[2]– أحمد ياسين سليمان: التّجليات الفنيّة لعلاقة الأنا والآخر في الشّعر المعاصر، دار الزّمان للطباعة والنّشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1 (د-ت) ص85.

التّفكير المؤسّسّة على الشّك للوصول إلى الحقيقة، ونفهم أيضا ما دام أنّنا نفكر مازلنا أحياء، وبتفكير يبني الإنسان ذاته، فهذه تسمّى "**بالأنا المفكّرة**" عند ديكارت.وفي مقولته أيضا يقول: " أعلم أنّني موجود وأنّ غيري موجود وأنّ العالم موجود" يؤكّد هنا أنّ الإنسان يدرك أنّه موجود في هذا العالم لأنّه واعي.

أمّا **سقراط** يقول: " اعرف نفسك بنفسك"؛ أي لمعرفة ذواتنا يعود إلينا، فيستطيع الإنسان أن يتطلّع عمّا يحدث في أعماقه دون أن يلجأ إلى غيره ليساعده على التّعبير عمّا بداخله، فالشّخص قائم كائن قائم بذاته لذاته.

أمّا "**هوسيرل**" يقول: " الشّعور الدّائم هو شعور بموضوع ما، ولا وجود لشعور فارغ في محتواه" على الذّات أن تكون واعيّة حتى تعي بما سيحدث، فالمرء بطبعه ينتابه أحيانا شعور معيّن فيحسّ بأشياء فعلا ستحدث لأن إدراك تمايز الذّات عن الغير يتم عن طريق الوعي بالذّات والوعي بالموضوع، فذلك الإحساس ليس فارغا بل يصل إلى نتيجة.وهذا ما أكّده الفيلسوف الفرنسيّ "**دوبيران**" حيث قال: " قبل الشّعور بأيّ شيء لا بدّ من أنّ لذات وجود" على أنّ الإحساس دائما هو إحساس بشيء، وأنّ الإحساس لا يكون إلّا إذا كانت الذّات موجودة.أمّا المنهج الاستبطانيّ منهج ذاتيّ يعتمد على اللّغة؛ فاللّغو وسيلة للتّواصل مع الغير لتبادل الأفكار... وأيضا نتعرّف على الأنا في مجال علم النّفس، عند الفيلسوف

"**فرويد**" فيرى: " أنّ السّلوك له دافع داخليّ من قوى لا شعوريّة تكوّنت عبر التّاريخ الشّخص خاصة من خلال علاقته بوالديه".[1]

بمعنى ذلك السّلوك انبثق من داخله لا يشعر به المرء؛ أي يأتيه عفويّا أو لا إراديّا فلا يعي به، فهذا تشكّل من خلال حياته وبيئته وعائلته خاصّة، فهذا لديه هدف لإشباع ما يريده، ويرى أيضا أنّ الأنا هي:" عناصر الجهاز النّفسيّ وتقع بين الهو والأنا العليا مشكّلة حلقة اتّصال بين الحاجات الغريزيّة والعالم الخارجيّ، الذّي تقوم بنقله إلى الهو وما فيه من نزاعات محاولة أن تصنع مبدأ اللّذة الذّي يسيطر على الهو".[2] بمعنى الأنا عنده هي شخصيّة المرء في أكثر حالات اعتدال بين الأنا والهو والأنا العليا، فالأنا تقوم بإشباع لبعض الغرائز التّي تطلبها الهو ولكن في صورة متحضّرة يتقبّلها المجتمع ولا تفرضها الأنا العليا ويشرف الأنا على النّشاط الإراديّ للفرد، فكلّ هذا يشكّلون حلقة اتّصال بين العالم الخارجي والحاجات الغريزيّة. ويؤكّد أيضا: "أنّ النّفس الإنسانيّة أو البشريّة تتألّف من الأنا (ego) النّفس الذّاتيّة والهو أو الهي (id) النّفس البدائيّة والذّات العليا (superego) النّفس اللّوّامة".[3]

أمّا الفيلسوف "**يونغ**" يقول: "أنّ الذّات عبارة عن كيان يفوق الأنا تنظيما تحتضن الذّات النّفس الواقعيّة، والنّفس الجماعيّة، وتشكّل بذلك شخصيّة أوسع وتلك الشّخصيّة هي

[1]– جميل صليبا المعجم الفلسفيّ ج1، دار الكتاب، لبنان–بيروت،(د–ط) 1982، ص140.

[2]– سيجموند فرويد: الأنا والآخر، تر: محمّد عثمان نجاتي، دار الشّروق، الإسكندريّة، ط4،1982،ص41.pdf

[3]– محمّد مصطفي زيدان: معجم المصطلحات النّفسيّة والتّربويّة، دار الشّروق للنّشر، لبنان، ط2، 2004، ص 323.

نحن."[1] هنا نلمس فرق بين الأنا والذّات، فحسب رأيه الأنا تتميّز بالفرديّة فأمّا الذّات فلها مفهوم واسع....

ونجد نوعان من الأنا وهما: "أنا الفرديّة" و"أنا جماعيّة"، فالأنا الفرديّة خاصّة بالفرد وحده (أنا) وأنا الجماعيّة تمثّل (نحن) وأنّ نحن ليست أحاديّة المعنى، فهي تعني صيغة الجمع مع (أنا) بل أن تكون صيغة أنا+ أنتم أو أنا+ هم؛ وبهذا يكون للأنا نوعان فرديّة يقابلها الآخر الفرديّ أو النّوعيّ، وجماعيّة يقابلها الآخر الجمعيّ. وتبعا لهذا المعنى الأساسيّ، فإنّ دراسة الأنا في سياق العلاقات مع الأفراد الآخرين تحوي مجموعة من المعانيّ تختلف حسب منطلق الشّخص الواعي المدرك لذاته ولما حوله" فالفردانيّة والجماعيّة تتميّز بمقولات.

فالمقولات الفرديّة تتمثّل في الذّاتية والتّعدّد والتّنوّع، الحريّة والمصادقة النّسبيّة في القيم والأخلاق والفرد، اللّامساواة والتّميز ودور الفرد في التّاريخ.

أمّا المقولات الجماعيّة فتتمثّل في الموضوعيّة، الوحدة العبوديّة والضّرورة والثّبات والمطلق في القيم والأخلاق والمجتمع، إضافة إلى عنصر المساواة والتّماثل ودور الجماهير والحتميّة التّاريخيّة"[2].

[1]– أحمد ياسين السّليماني: التّجليات الفنيّة لعلاقة الأنا بالآخر في الشّعر العربيّ المعاصر، دار الزّمان، دمشق، سوريا،ط1،(د،ت) ص98.

[2]_سمير اسطيفو شبلا،الذات بين الفردانية و الجماعية و الشخصانية،تاريخ النشر2013/08/10 .30_02/07/2021: pulpit.alwatanvoice.com_20

وأمّا "**جيمسْ**" الأنا عنده: " ذلك التّيار من التّفكير الذّي يكون إحساس المرء بهويّته الشّخصيّة".فحسب رأيه هذا أنّ الأنا قائمة على التّفكير، فالمرء يعبّر عن أحاسيسه اتّجاه غيره.

مفهـــوم الآخـــــر:

إنّ مصطلح "الآخر" يعدّ مصطلحا واسع الدّلالة، إذ تتّسع مفاهيمه ودلالاته، فقد وردت عدّة مفاهيم في تحديد الآخر.

أ- الآخــر لــغة:

جاءت لفظة –آخر– في القرآن الكريم في قوله تعالى: "﴿ فَإِنْ عَثُرَ أَنَّهُمَا عَلَى أَنَّهُمَا اِسْتَحَقَا إِثْماً فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الذِّينَ اِسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلِيَان فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾".[1]

كما وردت في مختلف المعاجم اللّغويّة العربيّة منها لسان العرب فيقول على: "أنّه أحد الشّيئين وهو اسم على أفعل، والأنثى أخرى إلّا أنّ فيه معنى الصّفة لأنّ أفعل من كذا ولا يكون إلّا في الصّفة، والآخر بمعنى غير، كقولك رجل آخر وثوب آخر، وأصله أفعل من

[1]– القرآن الكريم ،سورة المائدة: الآية 107.

التّأخر فلمّا اجتمعت همزتان في حرف واحد استثقلتا فأبدلت الثّانية ألفا لسكونها وانفتاح الأولى قبلها، ويقال هذا آخر وهذه أخرى في التّذكير والتّأنيث".[1]

وفي معجم الوسيط فالآخر: "الجمع: آخرون وآخر وأواخر، المؤنّث أخرى والجمع المؤنّث أخريات وأخرُ، والآخر أحد الشّيئين، ويكونان من جنس واحد".[2]

كما يكون الآخر: غير، ج: أُخر وأُخريات، ومن الكناية أبعد الله الآخر "[3] أي من غاب ليس منّا.

أمّا في قاموس المحيط فورد الآخر بمعنى: " الآخر في الأصل الأشد تأخرا في الذّكر ثمّ أجري مجرى غير، ومدلول الآخر وآخر معه لم يكن الآخر إلّا من جنس ما قلته، وقولهم جاءني في أخريات النّاس وخرج في أوليّات اللّيل يعنون به الأواخر والأوائل".[4]

كما تكرّرت بعض معانيه في معجم العين عند القول: "هذا آخر وهذه أخرى وفعل الله بالآخر أي بالأبعد، والجمع آخر، وأخرى القوم، أخرياتهم قال: "أنا التّي ولدت في أخرى الإبل."[5]

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، ص13.

[2]– إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط،ص09.

[3]– لويس معلوف: المنجد في اللّغة والأعلام، دار المشرق، المكتبة الشّرقيّة،لبنان،(د،ط)،1991،ص05.

[4]– بطرس البستانيّ، محيط المحيط، ص05.

[5]– الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين،ج1، تر:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط1، 2003، ص60.

وفي معجم الصّحاح نجد أنّ الآخَر "بفتح الخاء، أحد الشّيئين وآخر يؤنّث ويجمع بغير من وبغير الألف واللّام وبغير الإضافة نقول: مررت برجل آخر وبرجال أخر، وآخرين وبامرأة أخرى وبنسوة أخر، وتصغير أخرى أخيرى."[1]

ومن هذه التّعريفات اللّغويّة للآخر تبيّن أنّ ليس للمصطلح دلالة سوى الغيريّة والمخالفة.

ب- الآخـــر اصطـــلاحا:

بالنّسبة للمفهوم الاصطلاحي لمفردة الآخر أصبح أكثر حضورا في الكتابات المعاصرة، بحيث معنى: " الضد والمختلف والنّقيض للأنا بما يجعله من صفات وخصائص متنوّعة ومتباينة".[2]

ويعتبر مفهوم الآخر حديثا نسبيّا في ثقافتنا العربيّة، ويرتبط أساسا بالفلسفة اليونانيّة، وعلى سبيل المثال نجد مفهومه عند **(هيدغر)**: " مرتبطا بالسّقوط، فهذا الآخر قد رمى بنفسه في هذا العالم، غير أنّه لا يملك سوى التّسليم به، وهذا السّقوط قد يؤخذ على معنيين أحدهما إيجابيّ والآخر سلبيّ، أمّا كونه إيجابيّ فلأنّ بغيره ما كان يمكن وجودي أن يكتشف لنفسه ولولاه لظلّ وجودي في إمكانات الوجود لا نهاية لها، أي أنّ سقوطي هو الذّي حدّدنيّ وبتحديدي تحقّق وجودي العينيّ".[3]

---

[1]- الجوهريّ: معجم الصّحاح، اعتنى به خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، لبنان،ط3، 2008، ص32-33.

[2]- محمّد عمال سرحان: (الذّات والآخر في رواية حبّ كوبنهاجن)لمحمّد بلال، دكتوراه في الأدب الحديث، جمهوريّة مصر العربيّة، مجلة جامعة ناصر ، ع6، م1،2015، ص244.

[3]- حنان معزي: حوار الأنا والآخر في رواية كتاب الأمير مسالك حداد، لواسيني الأعرج، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2010-2011، ص15.

فهيدغر يعني بالسّقوط تواجده في العالم مع الآخر الذّي أدّى إلى تحقيق كينونته ومعرفتها التّي لا تتمّ بمعزل عن معرفة الآخر وبهذا يكون هذا الأخير جزء لا يتجزّأ في تشكيل ماهية الأنا، وكما يعتبر الوجود مع الآخر تقييدا للأنا، ويُنقص فرصتها في ممارسة حياتها، ممّا يشكّل خطرا عليها ومن هنا ندرك معنى السّقوط من جانبه السّلبيّ.

أمّا عند (جون بول سارتر) في مفهوم الآخر، فقد توسّع في شرح العلاقة بين الطّرفين، فيقول: " حينا يؤكّد وجوده بكونه موضوعا لشخص آخر، ويرى أنّه محتاج من الشّخص الآخر اعترافا بوجودي، إنّه الوسيط بيني وبين نفسي، وليس في كلّ الأحوال أن يبقى الأنا، أنا فهو آخر بالنّسبة للآخر غلى ما يذهب إليه سارتر، إذا كنت أوجد بالنّسبة لشخص آخر أكون أنا بدوري آخر"[1].

فرأي سارتر هنا أنّه لا يرى وجوده إلّا بوجود الآخر، لأنّ هذا الآخر هو الذّي بوجوده يعني ذاته، ووصل إلى نتيجة بأنّ كل أنا هو آخر.

في حين أثار **(هيجل)** قضيّة الآخر، فالعلاقة مع الآخر عنده هو عنصر أساسيّ في جدليّته بحيث يقول: " إذ يسعى كلّ وعي إلى أن يعترف به من قبل الوعي الآخر. "[2] أي **هيجل** تبنى مصطلح الآخر في حديثه عن استقلال الوعي وتبعيته وحركيته في علاقة

[1] – نقل عن أحمد ياسين السليماني: التّجليات الفنيّة لعلاقة الأنا بلآخر في الشّعر العربيّ المعاصر، ص95.

[2] –نقلا عن سعاد حرب:الأنا و الآخر و الجماعة في فلسفة سارتر و مسرحه،دار المنتخب العربي للدراسات و النشر،بيروت،ط1،1994،ص7

السيادة والعبودية، فمن هنا فالحركة الصادرة عن الوعي بالذات، ذات اتجاه مزدوج، الأنا فعلها فهو فعل الآخر نفسه".[1]

أما عند **(ميشال فوكو)** فان الأخر : "متعلق بالذات تعلق لإفعاك منه,شأنه في ذلك شأن ارتباط الحياة بالموت,فالآخر بالنسبة عند **(فوكو)** هو الهاوية أو الفضاء المحدود الذي يتشكل فيه الخطاب ."[2]كما يرى أن الآخر هو الموت بالنسبة للجسد الإنساني.

إن الآخر عند **(فوكـو)** هو "الامفكر" فيه في الفكر نفسه أو هو الهامشي الذي ستبعده المركز، أو هو الماضي الذي يقضيه الحاضر، لكنه أيضا جوهري بالنسبة لكينونة الخطاب الذي يستبعده، فنحن لا نعرف الحاضر دون الماضي ولا نعرف الذات دون الآخر، أما على مستوى الخطاب، فالآخر هو معالم الانقطاع والفصل الذي يحاول التاريخ استبعادها ليؤكد استمراريته".[3]

وهنا يتضح لنا أن مفهوم الآخر يتحدد حسب الذات مما يجعل الآخر مختلف عنها ولهذا لا يمكن أن نحدد الآخر في صورة واحدة، فهو فقط يختلف عن الأنا ولكل وجهة نظر

[1]–ينظرهيجل: فيمونولوجيا الفكرترجمة،وتعليق مصطفى صفوان, المكتبة الوطنية لنشر و التوزيع الجزائر,(د ط)1981,ص157.

[2]– ميجان الرويلي و د،سعد البازعي،دليل الناقد الأدبي، ص22

[3]– المرجع نفسه، ص22

يقول: "أبو شعيب الساوري"الآخر هو الذي يخالف الذات والعقيدة والثقافة ويظهر الآخر كالمستعمر للأنا والعلاقة معه محكومة بالتصادم والمواجهة".[1]

نستخلص أن"الآخر"هو الغير سواء كان الخصم الذي اصطدم به مع الذات وكان معاديا لها ومتمردا عليها أو كان صديقا تعاطف معها وانجذب نحوها أوبادها الحب بالحب ، لأن في كل الأحوال لايمكن أن يعيش الأنا غياب الآخر لأنهما رغم طبيعة العلاقة التي تجمعهما انفصال أو تواصل فهما بالضرورة مثلا زمان.

أما **(عبد الرحمان بدوي)**,فيرى أن الآخر هي: "صفة كل ما هو غير أنا وفكرة الآخر بمعنى غير الأنا مقولة ايستمولوجية ملخصها الإقرار بوجود خارج الذات العارفة, أي كينونات موضوعية"[2].

في حين يرى **(عبد القادر شرشار)** أن مفهوم الآخر هو: "عبارة عن مركب من السمات الاجتماعية والنفسية والفكرية والسلوكية التي ينسبها فرد ما أو جماعة ما إلى الآخرين."[3] أي يرى أن الآخر تنحصر في تلك الصفات أو السمات المركبة التي يضيفها فرد أو جماعة على أشخاص آخرين.

[1]_بوشعيب الساوري،تمثيلات الهوية و الآخر قراءة ثلاثة نصوص روائية في الرواية الجزائرية ، الرابطة أهل العلم،ط2008،1،ص52.

[2]– ينظر،عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، مادة آخر، ج1، المؤسسة العربية، مصر، ط1 ، 1984، ص13.

[3]– عبد القادر شرشار : كتابة الآخر في الرواية العربية المعاصرة، وحدة دراسات الوحدة العربية، د ط، د ت، ص147.

أما عند(**شاكر عبد الحميد**): "الآخر هو قد يكون أحد الأفراد، ويكون جماعة من الجماعات أو أمّة من الأمم، خلافا لآخر قد يكون قريبا وقد يكون بعيدا، وقد يكون عدوا يفكر في أنسب الوسائل للتعامل معه".[1]أي نعني أن يشمل مواضيع عديدة وليس شرطا أن يشمل في موضع واحد.

والآخر عند **(جورج أوريل)** هو: "الحاكم المستبد، ورب العمل." [2]

أما عند **كارل ماركس** الآخر هو: "قوة عظمى لديه تنافس نظيرتها في السيطرة على البقية غير العظيمة من بلدان العالم الواحد دون الآخر."[3]

من هنا يتضح مدى اتساع وشمولية مفهوم الآخر في حقول المعرفة والإبداع، فبعضهم يعطي أهمية لمفهوم الفرد والجماعة[4] ، ومنهم من يقدم نظرته لهذا الآخر بواسطة مبدأ التنوع والاختلاف من جهة، ومظاهر الوحدة لهذا التنوع(وحدة الأصل، ووحدة البنية، ووحدة المهمة، ووحدة البيئة) ومن جهة أخرى هناك من ولي اهتمامه إلى ما يحمله هذا الفرد أو تلك الجماعة من أفكار ومناح خلقية.

---

[1]– عمرو عبد العلي علام، الأنا والآخر (الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر)،إيلاف معات لعلوم النفس والشخصية، د ط، دت، ص12.

[2]– دلال البزري : الآخر : المفارقة الضرورية، ضمن كتاب صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، مركز الدراسات الوحدة العربية، لبنان، دط، 2008/09/30، ص100.

[3]– دلال البزري : المرجع نفسه، ص100 – 101.

[4] _ ينظر محمد نور الدين أفاية : الغرب المتخيل، صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، بيروت،ط2، 2000، ص54 – 55.

إن الآخر هو ما يراد به المختلف والمباين، ويمكن تحديد الآخر في الحياة والواقع بناء على المفهومات آنفة الذكر، فالآخر هو خارج الذات ، وهو المختلف دينيا ، أو طائفيا، وسياسيا، اجتماعيا، وثقافيا، أو مكانا، أو لغة...هذا وقد ساد كمصطلح في دراسات الخطاب، سواء الاستعماري الكولونيالي أو ما بعد الاستعماري وكل ما يستثمر أطروحاتها مثل النقد النسّوي والدراسات الثقافية والإستشراق.[1]

وإذا كان الآخر هو المختلف معي في اللغة، أو الدين، أو العرق، أو اللون، فالمختلف معي دينيا قد يتفق معي في اللغة والجنس واللون والثقافة، وإذا كان الآخر هو المرأة بالنسبة للرجل والرجل بالنسبة للمرأة، فإن صفات كثيرة تجمع بين هذا وذاك، كالحب والطاعة والاحترام وإذا كان الآخر هو المختلف عني اثنيا، فمن المؤكد أن هناك قواسم مشتركة تجمعنا وهموم إنسانية تحركنا.فصورة الآخر متعددة، على المستويين الفردي والجماعي، وكلّ ينظر إليه من وجهة نظر خاصة "هذه هي ساحة الحياة قوامها الآخر ، فكل مفردة تقابلها مفردة أخرى، على نحو الضد والمغايرة، على نحو الاختلاف الكلي أو الجزئي، وهكذا إلى ما لا نهاية".[2]

[1]– ينظر: ميجان الرويلي و د.سعيد البازغي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط5 ، 2007، ص21.

[2]– غالب حسن الشابندر: الآخرفي القرآن، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد العراق، د ط، 2005، ص 36.

أما الآخر من المنظوم علم الاجتماع ؛تركز الدراسات الاجتماعية على الآخر المختلف إثنيا أو عرقيا أو حضاريا بمعنى أوسع."[1]بمعنى الذات يمكن أن تحارب نفسها ومحاربة بعضها البعض.

والتحولات التي تطرأ على صورة الآخر بموجب الفعاليات الأخرى في التعامل الاجتماعي ألزمت الباحثين بتحديد ثلاث صور للآخر؛الأولى سلبية يعتبر الآخر فيها خطر على المجتمع وثقافته، وتناسبها إستراتيجية الرفض والطرد، أما الثانية فأقرب إلى الحيادية المؤقتة، إذ لا يبدو فيها الآخر مقبولا أو مرفوضا بقدر ما يبدو متهيئا ليكون هذا أو ذاك ، وهذه الصورة تناسبها إستراتيجية الاحتواء والتبعية، في حين كانت الثالثة صورة الآخر الحامل لقيم إنسانية ، ويمكن أن يكون اختلافه مصدر ثراء، وهذه الصورة تناسبها إستراتيجية التعاون والمواطنة، وهذه الصور الثلاث تتداخل في السياق الإجتماعي والثقافي.[2]

وتتحدد الأنا عبر الآخر وفق معطيات متباينة ، إذ إنّ كلا منها يعتمد على الآخر في التراكم المعرفي والثقافي، وبهذا تكون معرفة النفس والعالم هي ما يترتب على معرفة الآخر.[3]

[1]– حيدر ابراهيم علي : صورة الآخر المختلفة فكرياً (سوسيولوجية الإختلاف والتعصب) ضمن كتاب صورة الآخر العربي ناظرا ومنظور إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، د ط، 2008، ص 111.

[2]_ينظر :فيكتور كوتاستا:صورة الآخر في النزاع العرقي،ضمن كتاب صورة الآخر العربي،ناظرا و منظورا إليه،ص600.

- ينظر:عبد النبي اصطيف:الشراكة المعرفية بين الأناو الآخر، مجلة ثقافات،كلية الآداب،جامعة البحرين،ع1،2002،ص75

والهوية الفردية ليست إلّا مزيجا من الهويات الجمعية التي تتألف من النفس الإنسانية ، وبذلك تكون المعرفة الفردية والجمعية قائمة على شراكة ضمنية بين الأنا والآخر على المستوى الجمعي على أن ذلك لا ينفي أنّ لكل شعب ثقافيته الخاصة مع ما يحتويه من اتجاهات متعددة.فجغرافيته هي أساس ثقافته.[1]

أما الآخر من المنظوم علم النفس فهو: "مجموعة من السلوكات الاجتماعية والنفسية والفكرية التي ينسبها فردا ذات جماعة إلى الآخرين مما يحيل إلى أن الآخر حاضر في المجال العام للهوية."[2]

فالآخر هو: "التكوين الثقافي والجغرافي والإنساني عموما المغاير للغرب، والمسمى الشرق . "[3] أي أن الآخر بالنسبة للعرب هو الغرب بكل ما يحمله من أفكار وثقافات...

فمثلا: الأنا/العربي=>الآخر/الغربي.

الأنا/الرجل=>الآخر/المرأة.

كما نجد أيضا الآخر يأتي بمستويات عدة: (كالدين الإسلام؛كأهل قرية اغيل نزمان معظمهم مسلمون عكس أهل أث واضو، والدين المسيحي اليهودي؛ كفرنسيين)فأما العرق

[1] _ينظر ياسين النصير:صورة الآخر في المتخيل الشرقي بنية الجغرافية الحية،مجلة الرافد،دائرة الإعلام،الشارقة،ع2002،3،ص86_87.

[2] _سعد فهد الذويخ:صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتي العصر نهاية العصر العباسي،عالم الكتب الحديث للنشر،عمان،الأردن،ط1،2009،ص11.

[3] _سعد البازعي،استقبال الآخر، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،(د،ط)2004،ص34.

يتمثل في (عربي وغربي) والجنس(أنثى وذكر؛مثل ذهبية وأعمر، مقران وويزة...)فاللّغة لدينا اللّغة العربية والفرنسية في روايتنا لدينا المدام تتحدث باللغة الفرنسية. فالعلاقة بين الأنا والآخر هي علاقة تأثير وتأثر متبادل فيما بينهما، وكذلك تظهر لنا صورة الآخر دوما مرتبطة ارتباطا وثيق بالأنا في إطار فعالية جدلية، وضمن هذا المفهوم تتكون لنا: "فكرة الآخرية من حجم الصراع بين الإنسان والإنسان، وكل صراع بين إنسان وإنسان يبتدأ من تموضع كلا الطرفين في حيزي الآخرية فلا يمكن أن يحدث بينهما صراع ما لم يكن كل منهما آخر بالنسبة للآخر."[1] وعلى سبيل المثال الأنا العربية/الآخر بالنسبة لها هو الغربي المتمزق والمهيمن على الساحة الحضارية، الفكرية، الثقافية، والسبب يعود إلى ضعف العربي على المستويات عدة مما يجعله بحاجة ماسة إلى الآخر الغربي.

إذن فالآخر في أبسط صوره هو: "مثيل أو نقيض الذات أو الأنا، إذ لا يمكن الحديث عن الآخر بمعزل عن الذات."[2]

وكذلك هو ذلك"المتميز عن الأنا الفردية أو الجماعية، وتكون أسباب هذا التميز إما مادية ، جسمية إما عرقية أو حضارية أو فروق اجتماعية أو طبقية."[3]

[1]–محمد صابرعبيد،جمليات التشكيل الروائي،عالم الكتب الحديث،الأردن،ط1،2012،ص56.

[2]_سامي الوافي:المثاقفة النقدية و سؤال الهوية:تفاعل الذات بالآخر،مجلة الآداب، العدد الثاني،2014،جامعة الملك سعود،الرياض،ص4.

[3]_حسن شحاتة:الذات و الآخر في الشرق و الغرب(صور و دلالات و اشكاليات)دار العالم العربي، القاهرة، مصر،ط1،2008،ص17.

ومن خلال هذه التعريفات نستنتج أن هناك تبيّن الإمتزاج بين الأنا والأخر رغم أنهما داليّن على الاختلاف والتناقض.

صورة الأنا والآخر:

1/ **صورة الأنا:** فالذات (الأنا) عندما تصور نفسها في المجتمع الذي تعيش فهي: "تستند إلى تجارب وخبرات غنية وكافية قام بها الأديب في المجتمع الذي يصوره، عن كتب إذ ولد ونشأ في ذلك المجتمع وهو يعرف العديد من أبنائه، وتربطه يبعضهم علاقات قرابة وصداقة وغيرها من العلاقات الاجتماعية والنفسية."[1] أي الأديب عندما يصوّر لنا المجتمع الذي نشأ فيه وترعرع، تلك الصورة هي صورة ذاتية وتفصيلية تتعلق بحياته الإجتماعية والنفسية، فمن هنا تتشكل هويته.

وأيضا ذات الأنا معارفها وحضارتها وثقافتها وعقيدتها، كونتها الذات الفردية من المجتمع حيث أنها: "لا تولد مع أفراد الأمة بقدر ما يتعلمونها من بيئتهم الإجتماعية والتنشئة الإجتماعية، وهذه الذات تتسع أيضا أو تتكمش بحسب الجماعة ذاتها وانغلاقها أو

[1]_ماجدة حمودة:صورة الآخر في التراث العربي ص15.

انفتاحها."[1] فالذات تنتمي إلى مجتمع ما فتتسّع أو تضيق حسب هذه الجماعة وبمعنى آخر الفرد اجتماعي بطبعه وقادر الاندماج بسهولة مع أفراد ذلك المجتمع.ويقوم الفرد بضبط ذاته من قيمتهم الاجتماعية كالعادات والتقاليد والعرف السائد، فيكون هناك انفتاح فإذا انغلق المجتمع فذات أيضا تتعلق على نفسها.فهذا ينطبق على روايتنا "**الدروب الشّاقة**" حيث نجد صورة الأنا، حيث تحدث عن المجتمع القبائلي وطأ تحت الاستعمار، وعن حياة أعمر كيف يعيش في قريته وكيف أصبح أثناء ذهابه إلى فرنسا وأثناء عودته إلى بلاده، فأعمر(عميروش) من قرية اغيل نزمان فهي موجودة بمنطقة القبائل معروفة بالجزائر؛ فهي قرية تعيسة، فجميع أهلها مسلمون وكلهم قبائل، ولكن هناك فئة من المسيح خاصة في قرية أث واضو فهي اسم القرية الأصلية لذهبية، فجميع أهلها اعتنقوا دين المسيح وهذا طمعا في تحقيق مصالحهم المادية"[2].كعملهم في الإدارة الفرنسية ومساعدتهم لآباء البيض، فكان أعمر شخصية كافرة وطيب في قريته ويحب المساكين والفقراء ويتعاطف معهم ويحتقر الأقوياء والأثرياء. لكن اغيل نزمان يتنكرون ذلك، وأيضا هناك من يسارعون للاستنجاد به أوقات الشّدة خاصة عندما يتعرضون لمضيقات رجال الدرك أو الإدارة الفرنسية لأنه يستجيب لهم

[1]_مهنا يوسف حداد،أكثر الصورة الذاتية في الموقف العربي من دول اسرائيل باشراف:الطاهر لبيب و آخرون،ضمن كتاب صورة الآخر العربي ناضرا و منظورا إليه ص332.

[2]_مولود فرعون،الدروب الشاقة،تر:حسن بن يحي،دار تلانتيقيت لنشر،ط4،نهج سي الحواس_بجاية06000الجزائر،2016،ص18.

بكل أدب وعزم وثقة. ولا يخاف منهم لديه شجاعة ورثها من سلفه الصالح أي ورثها من "جده قاسي"، حيث أهل قريته وأمه وابنة عمه ذهبية.

ونانة مالحة وجميع أعمامه من عائلة أيت العربي يرفعون رؤوسهم اعتزازا به، وأيضا أهل قريته كاليتامى والمتسولون والعجائز يستغلون طيبته فكم من واحد استلف منه نقود ولم يسّدد له."[1]فدائما يريد العيش كالأغنياء ويتمنى أن يعيشوا كل الناس أغنياء.فعدوه الوحيد هو مقران من عائلة أيت سليمان؛لأنه يريد أن يستغل ذهبية لأنه أُعجبَ بها.

"فإن الشعور بالأنا لا يبرز دون أن يكون مصحوبا بذوات الآخرين."[2] أي الأنا لا تكون إلاّ بوجود الآخر أو اتصالها بالجماعة.فالبحث عن صورة الأنا أو الذات"سواء كانت فردية أو جماعية من أهم ما يعمق وعي الذات أو بذاتها وإدراكها لعوالمها الظاهرية والباطنية حيث تشير صورة الذات هنا إلى موضوع الفكر.وتحتوي على جميع المعارف والمعتقدات التي يملكها أو يستخدمها الناس لوصف تلك الشخصية التى يحملونها."[3] فنجد الذات الجمعية: "ذاتها لا تختلف كثيرا عن الذات الفردية، وصورتها لدى الجماعة تبدي بالخصائص نفسها التي تبرزها الفردية مع الإختلاف بأن تصور هذه الذات يوجد لدى تعدد

[1]_مولود فرعون،الدروب الشاقة،تر،حسن بن يحي،دار تلانتيقيت لنشر،ط4،نهج سي الحواس_بجاية 06000 الجزائر 2016،ص19و ص20.

[2]_صفية بوزوايد:صورة الآخر في رواية رجالي"لمليكة مقدم مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر"جامعة بسكرة الجزائر2016.

[3]_الطاهر لبيب:صورة الآخر العربي ناظرا و منظورا إليه ص332.

من الجماعات الإنسانية من أن يوجد لدى فرد إنساني واحد." [1]فصورة الذاتية" تتميز بالتعقيد وأول أهم تعقيداتها؛هو أننا نعرف عن أنفسنا أكثر بكثير مما نعرف حول الآخرين أو مفاهيم الذوات الأخرى، فالثاني من التعقيدات هو استمرارية انشغال الفكر بالمعرفة حولها ، وثالثها أننا نعيد النظر فيها باستمرار محاولين بذلك تفسير ظروفنا وواقعنا."[2]بمعنى علينا فهم ذواتنا أولا دون انقطاع ثم نفهم الآخرين وكيفية التعامل معهم في العقيدة والمرتبة الإجتماعية والعرق."[3] وأن الذات تسقط كثيرا من المعلومات وتخبئ الكثير من الحقائق حفاظا على ذاتها.

2/ **صورة الآخر**: إن نفي الآخر وعدم الاعتراف بها؛هو نفي لذات أيضا: "لأن الإنسان لا يستطيع العيش مستقلا بذاته، فهو بحاجة ماسة إلى إنشاء علاقات مع غيره تشعره بالسكينة والهدوء، وتسهل عليه مرارة العيش وحيد منعزلا عمن يحيط به."[4] لأن الإنسان اجتماعي بطبعه دائما يحتاج من يقف معه إما في السّراء أو الضّراء. وأيضا نجد الذات هي التي توجه صورة الآخر وتشكلها وفقا لمنظورها الجمالي ووعيها الذاتي، إلى

[1]_مهنا يوسف حداد،أثر الصورة الذاتية في الموقف العربي من الدول اسرائيل باشراف:الطاهر لبيب و آخرون ضمن كتاب صورة الآخر ،العربي ناظرا ومنظورا إليه،ص332.

[2]_المرجع نفسه ص334.

[3]_صفية بوزوايد:صورة الآخر في رواية رجالي "لمليكة مقدم"مذكرة لنيل شهادة الماستر جامعة بسكرة الجزائر2016.

[4]_ينظر،ميلاد حنا:قبول الآخر فكر و اقتناع و ممارسة، دار الشروق، القاهرة،مصر،ط1998،1، ص90.

جانب الوعي التاريخي وذلك إنطلاقا من"أنماط أصلية عابرة لتاريخ هي التي تؤسس مخيالي الإنساني."[1] أي أن صورة الآخر مرتبطة بالتاريخ.

وكذلك قد تظهر صورة الآخر دوما مرتبطة بالأنا "فالآخر هو الذي يكشف لنا عن انفسنا أنفسنا، ففي ما نتناول عبر هذه الرابطة أو نرفض من أشياء لا ندرك واقعنا نحن."[2] أي الأنا عندما تنظر للآخر فهي لا تنقل صورة عنه فقط بل تنقل صورتها الذاتية أيضا.

فترى **(نهوند القادري)** أن صورة الآخر هي: "تعبير أو تعابير ذات دلالات معينة ومقصودة، نرسم بواسطتها صفات فرد أو شعب أو مجموعة شعوب، بحيث تترك انطباعا سلبيا أو إيجابيا لدى القارئ أو المتلقي هذه التعابير."[3]فنفهم بأن علاقة الأنا بالآخر تتحدد من خلال تلك الصور التي تشكلها الأنا استنادا على مجموعة من التصورات والانطباعات التي أثرت في نفسها سلبا أو إيجابا.

أما أديب **خضور فيرى** هذه الصورة : "بأنها مجموعة من الأحكام والتصورات والانطباعات القديمة المتوارثة والجديدة والمستحدثة إيجابية منها والسلبية، التي يأخذها (شعب أو جماعة أو مجتمع عن آخر)، ويستخدمها منطلقا وأساسا لتقويمه لهذا الشخص،

[1] _أسماء العريف بياتريكس :الآخر و الجانب الملعون،ضمن كتاب صورة الآخر العربي،الطاهر لبيب و آخرون ناظرا و منظورا إليه، ص90.

[2] _ماجدة حمود:صورة الآخر في التراث العربي، ص95.

[3] _حسين العويدات:الآخر في الثقافة العربية(من قرن 6 حتى مطلع القرن 20)،بيروت،لبنان،ط2010،1، ص360.

ولتحديد موقفه وسلوكه إزاءه."[1] أي ارتبطت صورة الآخر بالذات ارتباطا قويا بالمواقف السلبية أو الإيجابية.

إن صورة الآخر في أغلب الأحيان تترجم عن : "موازين قوى وعن علائق تراتبية، وعلاقات نزاعية، فعندما يكون المهيمن والأقوى في موقف ما يعاين الآخر، فإنّ الصورة التي سيحملها أو يقدمها عن الآخر لا يمكنها سوى أن تعبر عن الشعور بالتفوق عليه، والازدراء والإحتقار بل والكراهية إزاءه." [2]وتعتبر أيضا هي: "عبارة عن قوالب جاهزة ثقافية، ودينية واجتماعية... وهذه الصورة تغذيها قوى ومجموعات ضغط تمنح المشروعية لهيمنة اجتماعية، سياسية، أو لاستعمال شعب ما وتشويه صورته."[3]

وقد يكون هذا التشويش ناتج عما تمتلكه الذات من الموجات الإيديولوجية والسياسية ، ومع ذلك فالآخر يسهم في تأسيس بعض مرتكزاته النمطية لدى الآخر المقابل من خلال اختياراته وأفعاله.

تخضع صورة الآخر إلى: "مؤثرات إيديولوجية وسياسية ، فكرية وكذلك تاريخية، فهي متغيرة لا تتسم بالثبات والنمطية، بل تتبدل حسب تلك المتغيرات، ويمكن الاستدلال على

[1]_نقلا عن سميرة لحلوح و كاتية مالا، الآخر في الرواية الجزائرية "ابن الشعب العتيق"،لأنور بن مالك،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، بجاية، الجزائر،2012_2013، ص17.

[2]_عبد الجليل حليم:الفلاحون المغاربة في الإثنولوجيا الكولونيالية بين الجمود و قابلية التحسن ضمن كتاب:صورة الآخر العربي،الطاهر لبيب و آخرون ناظرا و منظورا إليه، ص450.

[3]_ المرجع نفسه، ص450_ص451.

الآخر عبر مستويات متعددة؛ كالجنس والعرق والدين أيضا مسلم أو غير مسلم، ويمكن أن يكون طبقة واحدة في المجتمع سيد أو عبد أو حتى في السياسة حاكم أو محكوم."[1] فالآخر يظهر في عدة مستويات مختلفة.

تتشكل صورة الآخر: "من عناصر انتقائية هي ما يزيد أن نثبتها في أذاننا عن هذا في حين تغيب عناصر أخرى لا نراها ولا نريد رؤيتها والاعتراف بها."[2]

وكما ترسم صورة الآخر من خلال: "الواقع التي بنيت فيه، فعند ما كان المجتمع في قوته وكانت ثقافته في مدها، لم يكن الآخر مشكلة أو جحيما : وعندما فقد المجتمع قوته ومناعته واهتزت ثقافته، فانكمش دفاعا عن الذات، أصبح الآخر المهدد لها عدوا لا ترى غيره."[3]

إن تعريف صورة الآخر يجري على وجه العموم بأنها الصور الشّائعة الاعتقاد والمجرد من الصفات الإنسانية للجماعات الخارجية ، فإن صورة الآخر أضحى تعبيرا عاما يغطي الحالات التي يعترف فيها بالاختلافات اللغوية والثقافية، والتي تشكل الأساس لهوية النحن.

---

[1] _سعد فهد الذويخ:صورة الآخر في الشعر العربي،'عالم الكتب الحديث للنشر،عمان، الأردن،ط1،2009،ص 10.

[2] _فتحي أبو العينين:صورة الذات و صورة الآخر في الخطاب الروائي العربي:تحليل سوسيولوجي لرواية(محاولة للخروج):ضمن كتاب صورة الآخر العربي،الطاهرة لبيب و آخرون ناظرا و منظورا إليه،ص813.

[3] _إياد عماوي :الأنا و الآخر ودورها في رسم و تحديد العلاقة بين الوطن العربي و الغرب:.iyadamawi.26/02/2018.12:30.www.que:edushomesr7

الفصل الثاني

ظاهرة صورة الأنا والآخر في رواية الدروب الشاقة

الفصل الثاني

ظاهرة صورة الأنا والآخر في رواية الدروب الشاقة

- تجليات صورة الأنا في الرواية
- تجليات صورة الآخر في الرواية

تعد الرواية جنس من الأجناس الأدبية، مكتوبة بأسلوب سردي، وهي سلسلة من الأحداث التي يتم وصفها على شكل قصة والرواية التي تترجم الواقع المعيشي في صورة إبداعية للتعبير عن شتى الأفكار والخواطر بأرقى الأساليب الكتابية، فرواية "الدروب الشاقة" تعد من الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية التي اتخذت من الثورة التحريرية مرجعاً تاريخياً أساسياً.

ولقد شكل حضور الأنا والآخر في هذه الرواية، مما شغلت إهتمام بعض النقاد، فبغض النظر عن توظيف الأنا في الأدب، تظل دلالات الأنا متشابهة لأنها تحاكي ذلك الآخر في أي صورة من الصور، ولأن موضوع الأنا والآخر ظهرت في روايتنا على أساس تجليات صورة الأنا والآخر، بحيث يشير إلى الأنا هو الجزائري والآخر هو الفرنسي.

اتخذت صورة الأنا في خضم علاقتها مع الآخر الغربي أشكالاً متعددة فهي ليست بالصورة الواحدة، ولذلك سنحاول رصد أهم الصور التي جسدتها لنا هذه الرواية.

شخصيات الأنا :

* المرأة الأم :

الأم هي المعجزة التي وهبها الله عز وجل للبشرية، وهي من وضعت الجنة تحت أقدامها لقوله صلى الله عليه وسلم : "الجنة تحت أقدام الأمهات" [1] وقوله صلى الله عليه وسلم :" أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك".

وقد أوصى بها الله عز وجل لقيمتها ودورها البارز، وذكرها في العديد من المواضيع القرآنية منها قوله تعالى : "وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ" [2] وقوله عز وجل : "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ"[3]. وقد أكرمها الله عز وجل وأوصى برضايتها وطاعتها من خلال قوله تعالى : " وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ

[1] محمد الصديق بسيس، ما أعطاه الإسلام للمرأة كاف وكفيل بأن يحسنوا التجارب والنكسات، ص 117.
[2] سورة لقمان، الآية 14.
[3] سورة الأحقاف، الآية 15.

وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا"[1].

الأم هي مصدر الحنان والعطاء والعطف، وهي أنموذج الرحمة تجاه أبناءها منتظرة النتيجة منهم بتقدمهم ونجاحهم، وهي الصانعة للأجيال "فمن مظاهر حب الأم لأبنائها الحرص عليهم، فقد كانت الأم ولازالت الأكثر حرصاً على أبناءها منذ مرحلة التفكير في الحمل بهم إلى أن يكبروا ويصبحوا رجالاً، فهي تأدب على رعايتهم أجنة في بطنها، بل حتى قبل ذلك ثم أطفالاً صغاراً وأولاداً كباراً ثم رجالاً"[2]. أي أن الأم تضحي من أجل أبناءها ليعيشوا في سلام وسعادة.

1. ننه مالحة / أم ذهبية :

تجسدت صورة المرأة الأم في رواية "الدروب الشاقة" دائماً في الأم ننه مالحة، التي عانت كثيراً في حياتها منذ صغرها، ومن المقاطع التي دلت على قول الكاتب : "قصة الربيبة مالحة مع زوجة أبيها كل أنواع المعاناة والعذاب ولم يكن أحد يعبأ بحالها، ولك أن تتصور البقية، لقد كانت مالحة تقضي اليوم كله في أزقة القرية أو في الحقول ترعى الماعز

[1] سورة الإسراء، الآية 24.

[2] أمل نصيرة، صورة المرأة في الشعر الأموي، ص 140.

والأغنام ... وتقضي معظم أوقاتها مع الصبيان ... كانت متوحشة " [1]. أي نانة مالحة إمرأة صبرت على المر، الذي عاشته في دار أبوها مع زوجة أبيها.

ثم أنجبت ابنتها الوحيدة "ذهبية"، وظلت محافظة عليها، ترعاها وتحميها من أي مكروه، وتخاف عليها، وأخذتها معها حين تركها الجميع وخذلها في قول الكاتب : "وأعتقد انني أحسنت عندما أخذتها معي, لقد أرادوا في بادئ الأمر أن أتخلي عن ابنتي (اللقيطة) كما يقولون، ولو فعلت لجعلوها خادمة لديهم لأنهم قوم لا يستحون ولا شرف لهم، فهم شرذمة من الكفار المرتدين وكنت أن وابنتي أيضاً نقصد الكنيسة في بعض الأحيان ولكن كان ذلك بسبب والد ذهبية"[2]. كانوا أهل قرية أث واضوا يحتقرون ذهبية وأمها و يعيرونها .

كانت ننه مالحة مصدر للعطاء والحب والحنان بالنسبة لإبنتها، فقد كانت أماً حنونة تعطف على ابنتها و تودها وتواسيها دائماً؟ تجسد ذلك من خلال قول الكاتب :" استفاقت الخالة مالحة من نومها، وقربت إليها ابنتها ذهبية وقالت لها : نامي يإبنتي العزيزة، نامي ... الله سيرزقك بالصبر وسينسيك ما حدث، لا تقلقي يإبنتي هكذا شاءت الأقدار وما دواء المصائب سوى النسيان"[3]. وأيضاً في قوله : "كانت والدتها ننه مالحة تتفهم معاناتها، لقد انتهت الآن من إعداد الفراش لتنام إلى جانب ابنتها"[4]. أي ننه مالحة لم تترك ابنتها ذهبية

[1] مولود فرعون، الدروب الشاقة، تر. حسن بن يحي، دار تلانتيقيت للنشر. ط4، بجاية، 2016، ص 140.
[2] المصدر نفسه، ص 137.
[3] المصدر نفسه، ص 31.
[4] المصدر نفسه، ص 5

وحيدة، بل وانستها ووقفت معها في المحنة التي حلت عليها بسبب سمع ذهبية خبر وفاة أعمر.

ننه مالحة حريصة أشد الحرص على إبعاد ابنتها عن أهل القرية وحمايتها منهم، وكانت تتحمل جميع الأعباء والمشاق من أجل أن تعيش ابنتها ولتبقى محافظة عليها، تجسد ذلك في قول الكاتب : "لقد كان قبول مالحة العمل عند عائلة أيت سليمان تحد لإعتبارات عديدة، إلا أنها أبعدت ابنتها عن تلك الدار كي لا تتعرف على أفرادها ولم تكلفها يوماً ما بمهمة حمل جرر الماء ومنعتها من الإشتغال عند أي أحد في القرية، هي تعرف جيداً أهل إغيل نزمان لذا عليها أن تواجههم وهي تحمي ابنتها منهم وكانت على إستعداد لتقوم بأي عمل يعرض عليها وعند كل من يطلب منها ذلك"[1] ، وكذلك كانت تدافع عن ابنتها ولا تترك مجالاً لأحد للإقتراب منها في قوله : "حسناً يا ابنتي، غداً سيعلمون من أنا"[2]. وكانت تفكر فيها دائماً وتحميها من جميع المخاطر، قوله : " ننه مالحة وهمها الوحيد الآن هو أن تزوجها والهم هذا كان يتزايد بقدر ما كانت ذهبية تكبر وينتعش جسدها ويزداد جاذبية ويشتهيه الناظرون"[3].

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 39.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 40.
[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 16 – 17.

كما نلاحظ، فإن الأم ننه مالحة مثلت الدور المثالي في الأمومة، بمحافظتها على ابنتها، ورعايتها لها، محتوية لها، مدافعة عنها، ومتمنية رؤيتها في أحسن عيشة أفضل مما عاشته هي، لقد صورها الكاتب في أحسن صورة لها مع ابنتها ذهبية.

2. أم أعمر :

تجسدت صورة الأم أيضاً في أم أعمر التي رجعت مع زوجها من فرنسا ومعها ابنها، حيث قال أعمر : "أمي فرنسية وقد قدمت إلى قريتنا مع والدي ولم تغادرها قط، وتكفلت بتربيتي و أنا ابنها الوحيد"[1]. فالمدام وحدها تحملت مسؤولية ابنها.

أم أعمر تختلف في عاداتها عن ننه مالحة، حيث عارضت حين اقترحت عليها ننه مالحة "ذهبية" زوجة لإبنها، تجسد ذلك في قوله : "أنا لا اسمح لنفسي أن اقترح له فتاة أو حتى أن أساعده على العثور على التي سيتزوجها، وعلى أي حال فالمسكين لا يزال في الغربة بعيداً عني، أتفهمين إذن، نحن الفرنسيون نختلف عنكم كثيراً في عاداتنا الخاصة بالزواج"[2]. فهنا العادات والتقاليد كالزواج مثلاً، تختلف تماماً بالنسبة للفرنسيين مع القبائل، لذلك المدام رفضت زواج أعمر من ذهبية ....

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 97.

[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 50.

لكن المدام بالرغم من ذلك كانت طيبة مع ذهبية وأمها، فتقول ننه مالحة : "هي طيبة معنا ولا ينبغي أن أنتقدها"[1]. لقد جسد مولود فرعون صورة المدام في أحسن صورة وطيبة، فمهماً اختلفت أصول وتوجهات كل من ننه مالحة والمدام الفرنسية، فإن الأم هي نبع الحنان ومصدر السعادة فهي العاطفة وكل شعور جميل حيث أنها تضحي بحياتها من أجل أولادها وتحميهم من كل مكروه قد يصيبهم، وكما تنبض بالحياة في هذه الرواية مملوئة بالحب.

3. ذهبية :

لقد جسد "مولود فرعون" صورة المرأة البنت في روايته "الدروب الشاقة" في صورة "ذهبية" الفتاة المهذبة التي تشارك أمها كل آلامها وهمومها وتنام في الليل بجانبها، لأنه بمجرد نومها بجانبها تحس بالراحة والإطمئنان في قوله : "سوف أغمض عيني وأضمد جرحي ولن أفكر فيه أبداً وسأستسلم للنوم بالقرب من أمي مالحة"[2]. فهذه البنت المثالية والفتاة المطيعة لأمها والمجيبة لأوامرها في قوله : تحني ذهبية جبينها بكل تواضع أمام والدتها"[3]. فذهبية تخبر أمها وتطلعها على كل شيء في قوله : "وبمجرد عودة أمها من دار آيت سليمان أخبرتها عن الحادثة بكل تفاصيلها"[4]. حتى وإن أخطأت طلبت العفو "فذهبية

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 62.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 34.
[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 62.
[4] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 55.

كانت تتصرف في كل مرة بتعقل مع أمها فتسلك سلوك المذنب الذي يطلب العفو فتسر الأم لذلك فتعفو عنها ويعود إليها الأمل ثانية"[1].

فشخصية ذهبية كانت مثالاً في الإخلاص والوفاء، كانت بنتاً مثالية، أعطت صورة جميلة عن الفتاة المحبة لوالدتها في هذه الرواية، وهي أنموذج لكل فتاة جزائرية، تحمل عادات وتقاليد المرأة في هذا المجتمع.

وإذا عدنا إلى الرواية وجدنا أن العشيقة وصورة المرأة الحبيبة تمثلت في شخصية "ذهبية" والمعشوق "أعمر" وتقريباً مضمون الرواية تتحدث عن عشقهما لبعضهما البعض، فذهبية العاشقة كانت فتاة غاية في الرقة والأنوثة والجمال والعذوبة، وكان أعمر يراها فتاة غاية في الرقة والأنوثة حيث قال عنها : "إبتسامة ثغرك البهي وعينيك الذهبيتين الصافيتين كالذهب، إبتسامة وجهك الذي يفيض رجولية وعذوبة، هذا الوجه الملائكي، ملاكي"[2]. بالإضافة إلى وجهها الحسن البهي كانت فتاة طيبة حسنة وجريئة في حبها وعشقها ل أعمر في قول الكاتب : "لقد كانت جريئة، وكانت تحس بشجاعة تمكنها أن تقول كل شيء وتفتح قلبها لحبيبها ليقرأ ما فيه من أسرار وليعرفها حق المعرفة وليتفهمها ويغفر لها"[3]. فقد كانت تكن الحب الشديد لأعمر وتعشقه عشقاً لا مجال له، تقول : "وكان لابد أن يحدث هذا، اني أحبه ياإلهي، إنه يعلم ذلك ولذلك فهو يبادلني نفس الشعور، ياإلهي أكاد أطير فرحاً لم يعد

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 60.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 10.
[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 9.

يفكر في ويزة أو غيرها من البنات، ومنذ ذلك اليوم عشقته بكل كيانها، وما يمضي يوم حتى يزيد حبها وشوقها له"[1].

كانت دائماً تتخيل أنها على علاقة جنسية معه أو بالأحرى تتخيل أنها زوجته في قوله : "انتفضت ذهبية من فراشها جالسة وضمت ذراعيها إلى نهديها بشدة متوهمة أنها تعانق أعمر لتشعره بمدى الحب الذي تكنه له، إنه لا يدري كيف أصبح يملأ عليها الدنيا منذ أن أدركت أنه قد يقع في غرامها ويكون ملكاً لها"[2]. وكان أعمر يبادلها نفس الشعور ويحبها، ويعشقها كثيراً في قوله : "إنها تعجبني وهي كذلك تبادلني نفس الشعور، وكانت في غاية اللطافة وتضامنت معي إلى حد كبير في هذه الأيام الأخيرة"[3].

فالحب كان متبادلاً بينهما إلى حد كبير، تجسد ذلك من خلال قوله: "هل تحبينني أنا يا عزيزتي ؟

نعم، أحبك.

قولي لي لماذا تحبينني، أرجوك.

لأنك لست غنياً، نعم هذا هو السبب.

ضعي يديك بين يدي يا ذهبية حتى أضمهما ... هل تعرفين لماذا أحبك ؟

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 29.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 15.
[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 126.

أنت أعلم بذلك، أما أنا فأحبك لأنك لست كغيرك من الرجال"[1].

فرغم حب هذين الشابين، إلا قصة حبهما وعشقهما لم تدم كثيراً، في قوله : "لقد دم حبهما ستة أشهر كي يتنامى سراً ويوحدهما في معانقة وحدة ثم يفرق بينهما بخشونة"[2]. فأعمر وذهبية لم يعيشان قصة حب حقيقية ...

انتهت قصتهما بوفاة معشوق ذهبية، أعمر والتي لم يبقى لها سوى مجرد الذكريات التي جمعتها به في قوله : " إنها لن تنسى الستة أشهر التي قضتها مؤخراً بالقرب من أعمر، إنها كالشريط المسجل في ذاكرتها إلى الأبد يبقى في متناولها فتعيد مشاهدته متى شاءت"[3]. أي ما عاشته مع أعمر يبقى دائماً راسخاً في ذهنها حتى مماتها.

بقيت الشابة ذهبية فقط متعلقة بدفتر يوميات أعمر في قوله : "قرأت ذهبية دفتر يوميات أعمر بشغف كبير، فتأثرت أشد التأثر مما كتبه عن حبهما، سيكون لها متسع من الوقت لإعادة قراءتها حتى حفظه عن ظهر قلب"[4].

ومن هنا نستخلص أن الكاتب قد أبدع في تصوير حبهما وتصوير صورة البنت العاشقة ذهبية وأحسن التدقيق في شخصيتها وفي صدق حبها وإعترافاتها وأيضاً إعترافات معشوقها.

---

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 215-216.

[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 11.

[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 11.

[4] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 31.

ونجد أيضاً أن الكاتب قد جسد صورة ذهبية المرأة الغيورة في قوله : "لعل ذهبية كانت غيورة بعض الشيء من ويزة لا لسبب إلا لأنها كانت تملك هي وسائر بنات إغيل نزمان كل ما تفتقد إليه هي، فلقد كان لكل منهن أب وإخوة وعائلة ومال، وبالتالي سيقصدهن الناس يوماً ما لطلبهن للزواج، أما هي فمن هذا الذي يجرؤ على خطوبتها إن لم يكن مسكيناً فقيراً سترغمها أمها على قبوله ولذلك لم تكن مستعجلة لذلك"[1].

إضافة إلى غيرة ذهبية من ويزة لأنها لديها عائلة ومال، كانت تغار منها لجمالها ومحاولة الإقتراب من أعمر حبيبها في قول الكاتب : "الواقع أن ويزة مكتملة الأنوثة وأعمر يعلم أنه سوف يجد فيها كل ما يريد"[2]. وهي غيرة مضاعفة تجعلها تفقد صوابها في قوله : "ولاحظت ذهبية أن ويزة أخذت تهتم بهيئتها وجمال وجهها، وكلما رأتها قد غيرت الثوب أو وضعت الكحل على عينيها أو زينت شفتيها بقشور شجرة الجوز قالت في نفسها : "إنها تفعل ذلك من أجل أعمر وليس من أجل مقران !""[3]. فهي تعرف أنها سوف تغري أعمر وتجذبه إليها على الرغم أنها متزوجة في قوله : "منذ تلك اللحظة بدأت تشعر بالغيرة وبدأ معها العذاب ودام حالها كذلك أسابيع عديدة، ما حيلتها يا ترى أمام منافستها هذه التي تفوقها خبرة". [4] أي ذهبية تغار من جمال ويزة وكذلك تغري حبيبها أعمر

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 64.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 88.
[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 88-89.
[4] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 87.

4. لويزة الزوجة :

إن المرأة المتزوجة قديماً خاصة في قرية إغيل نزمان وحسب مولود فرعون كانت تعاني فوق طاقتها من الظلم والاضطهاد والحرمان في قوله : "فالزواج في إغيل نزمان ليس فيه ذرة من الجدية ولا شيء من المنطق، فالشبان كلهم يتزوجون دون تدبير ويتلقون نساءهم دون تردد، وينجبون أطفالاً دون التفكير في الأمر ويتخلون عنهم بدعوى أنهم لا يستطيعون توفير العيش لهم ويرحلون إلى فرنسا آملين أن يجدوا حلاً لمعضلتهم، لكن الأمور تظل على حالها أو تسوء، وبينما يمضي الوقت، يتقدم الرجال والنساء في السن حتى يبلغوا الشيخوخة وينمو الأطفال في بؤس وشقاء حتى يكبروا فيبدأون في التفكير حول مستقبلهم"[1].

فالفتاة في تلك القرية "تتزوج مع أول من يتقدم لها دون تفكير وتظل مدينة له طوال حياتها لأنه اختارها زوجة له، وتتحمل خشونته وكل عيوبه لا لسبب إلا لأنه رجل"[2]. فالزوجة إضافة إلى الظلم الذي تعانيه تترك في الأخير أو تطلق ومعها أولادها أو يهجرها زوجها ويتركها ويسافر، فإعتبار أنه لم يستطع أن يوفر لهم حياة رغدة هنيئة في قوله : "ماذا كانت عاقبة المتزوجين الشباب الذين كانوا يتوقعون العيش في نعيم والتمتع بالحياة الزوجية ؟ لقد تركوا أزواجهم أرامل وفارقوا الحياة، لم يبقى في إغيل نزمان إلا نساء أرامل يبحثن عن

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 48.

[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 61.

زواج ونساء تركن وحيدات لا ينتظرن أي شيء من الرجال وأطفال مشردين ومن الرجال من فارق الحياة في باريس أو نال هناك من المشقة ما لم ينله بشر هذا هو الواقع ولا مفر منه"[1].

ونأخذ أبسط مثال على ذلك هو : "أن أحد شبان قرية إغيل نزمان الذي حاول أن يتحرر من كل الإلتزامات، فكان منطقياً مع ذاته ...

ذات يوم عندما عاد من فرنسا وبالضبط من مدينة توركوينغ كان صريحاً مع زوجته فوضعها أمام الأمر الواقع قائلاً لها : " استمعي أيتها الصغيرة، أنا فقير، أهل إغيل نزمان كلهم يعلمون أني لا أملك شيئاً في هذه القرية، لكنني أملك منصب عمل هناك في توركوينغ في مصنع النسيج ... أما عن زوجته قد عادت إلى قرية إغيل نزمان ومعها طفلان بعد أن غادرت ومعها طفل واحد، أما زوجها فقد بقي هناك بصحبة فتاة من فلاندره متخلياً عن زوجته وإبنة قريته"[2].

أما ويزة تعد من أبرز صورة الزوجة في الرواية، فرغم أنها فتاة جميلة ومغرية، إلا أنها تزوجت ويخونها زوجها، ولا تحظى منه بالرعاية والإهتمام الذي ينتظر من كل فتاة حين تتزوج، فالغرض الحقيقي من الزواج أي الإستقرار والأمان والإحترام والأمل، غير موجود على الإطلاق في حياتها. فيرى أعمر أنه من الحماقة أن يتزوج الشباب في قريته في قول

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 196.

[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 46 – 47.

الكاتب : " وكل الشبان يعلمون أن الزواج من أكبر الحماقات التي يمكن اقترافها لكنهم مع ذلك يتزوجون ويفعلون مثل آبائهم"[1].

وكما جسد الكاتب صورة ويزة زوجة مقران المرأة الخائنة، حيث قبلت بخطوبتها منه وتزوجته في قوله : "سارت الأمور في حفل الزفاف على أحسن ما يرام ولم تشهد القرية لذلك العرس مثيلاً"[2].

لكنها لم تقتنع بمقران كزوج لها، وبمجرد عودة أعمر من فرنسا إلى قرية "إغيل نزمان"، أصبحت ويزة تهتم بنفسها، في قوله : "لاحظت ذهبية أن ويزة أخذت تهتم بهيئتها وجمال وجهها، وكلما رأتها قد غيرت الثوب أو وضعت الكحل على عينيها أو زينت شفتيها بقشور شجرة الجوز قالت في نفسها : "إنها تفعل ذلك من أجل أعمر وليس من أجل مقران ... إن مقران لا يساوي شيئاً لديها""[3].

فهذا السلوك من لويزة لا يؤذيها وزوجها فحسب، بل يؤذي غيرها أيضاً، فهي : "منذ عودة أعمر إذ أخذت ويزة تهتم أكثر فأكثر بجمالها وهيئتها مما جعل ذهبية تراقبها وتتجسس عليها خفية".[4]

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 131.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 75.
[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 88.
[4] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 90.

وهذا السلوك لم يأتي من عدم، بل ويزة تحتقر حياتها مع مقران وترى السعادة مع أعمر، هي قد ندمت على زواجها من مقران وتتمنى لو لم يحصل هذا الزواج، تقول : "لعنة الله على والدي ... لو صبروا قليلاً ولم يزوجوني لكنت سعيدة". [1] ولم يتوقف الأمر عند الإحساس بالندم فحسب، بل تجاوزه إلى الرغبة في الإعتداء على حياة الآخرين ومشاعرهم، فهي : "مع أنها كانت متزوجة بمقران، إلا أن ذلك لن يغير شيئاً وأنها ستحاول إغراء أعمر دون أن تخشى الفضيحة".[2]

نتيجة هذا السلوك الذي يؤذي من حولها، فهي قد دمرت حياتها الزوجية أيضاً بعد خيانة زوجها في قوله : " وفي نفس الأسبوع الذي وقعت فيه الحادثة، طردت ويزة من دار زوجها وأعيدت إلى أهلها كما أشار إلى ذلك أعمر في دفتر يومياته". [3] كما أن الأمر أوصلها إلى ما هو أخطر إلى إرتكاب زوجها جريمة قتل في حق غيرها، فخيانتها لمقران تسبب في مقتل أعمر لإسترجاع الشرف، فتقول ذهبية : "أن مقران قد رتب الأمور ترتيباً محكماً فلقد أعاد ويزة إلى داره قبل مقتل عدوه لكي يبعد الشبهات عن حادثة الشرف ويزيل الشكوك عن نفسه في وفاة أعمر".[4]

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 86.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 87.
[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 91.
[4] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 94.

لقد أثبت لنا مولود فرعون من خلال شخصية ويزة المرأة الخائنة لزوجها وعدم اقتناعها به، وبإعتبار أنها لم تجد السعادة معه فحاولت إغراء أعمر بجمالها وتحسرت على زوجها من مقران، فكانت رمزاً للمرأة الخائنة.

5. زوجة السعيد :

هذه الزوجة ترملت ولم تعرف من الزواج سوى مدة قصيرة، لكنها بقيت بعد وفاة زوجها ولم تتزوج، هذه هي العادات وهذا هو القانون الذي يجعل منها محترمة. تتزوج أولاً مطيعة ثم تبقى بلا زواج بعد وفاة زوجها، فزوجة سعيد قد تركها زوجها وذهب إلى فرنسا فهي كانت تعاني من أمه واخوته فطلبت منه أنها ستترك المنزل إلى حين عودته في قولها : "لكن أخبرك أن اخوانك يزعجني كل يوم، سوف اذهب إلى بيت أهلي وسوف تجدني هناك عند عودتك"[1].

ظنت أنه سيعود لكن وافته المنية في بلاد الغربة في قوله : "ولم تمض على وصولها إلا أربعة أيام حتى دفن سعيد في مقبرة بوبيني وقد تكلف بمراسيم الدفن والجنازة أبناء قرية من إغيل نزمان. وما من شك أن سبب وفاته هو الزائدة الدودية التي أصابته في اليوم الثاني من وصولنا"[2]. فأصبحت أرملة في قول الكاتب : "لكن الأمر إنتهى بالنسبة لهذه الشابة المسكينة ... لن تتزوج لا مني ولا من رجل آخر بل لن تتزوج أبداً ما دامت في إغيل نزمان

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 183.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 189.

لن يطلبها أحد للزواج على أي حال، وما عليها إلا أن تعيش محنتها وتظهر تمسكها بالمرحوم وإخلاصها له لأن للناس آذاناً وعيوناً وإذا احكموا على أحد فإن حكمهم شديداً. أضف إلى ذلك أن هذه البنت منحوسة في نظر أهل القرية لأنها فقدت زوجها بعد أشهر قليلة من زواجها منه"[1].

فمولود فرعون قد أحسن في تصوير المرأة المتزوجة في روايته "الدروب الشاقة" وخاصة في قرية إغيل نزمان، وأظهر لنا ما كان يلحقها من محن و ظلم واضطهاد. ورغم ما تعانيه نساء قرية إغيل نزمان من مشاكل الزواج إلا أنهن يتزوجن.

نساء القرية :

سنقسم نساء القرية إلى فئتين : فئة الخاضعات وفئة المتمردات.

أ) الخاضعات :

لقد جسد الكاتب صورة المرأة الخاضعة في رواية الدروب الشاقة بصفة عامة في قرية إغيل نزمان اللواتي يعتنقن أشياء تقلل من قيمتهن وتجعلهن مقهورات ومضطهدات وهذا بسبب العادات والتقاليد اللواتي يتبعنها، فمثلاً من عادات نساء القرية في الزواج : "أن بعض الأمهات يعطين الصداق سراً لشباب كي يدفعه يوم الزواج وكأنهن يقدمن بناتهن هدية، وبهذه الطريقة فإن أهل العروسة هم الذين يدفعون تكاليف الفساتين والحلي وملازم الفراش

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 191.

وما على العريس إلا أن يستلم كل ما منح له دون نقصان. ولم يكن أحد ليخشى الخزي والعار. وطبعاً هناك بعض العادات لأن القانون الجديد يستلزم القيام بواجبات أخرى كزيارة دار العريس صباح اليوم التالي للخطوبة إحتراماً وتقديراً لعائلته، فتتنقل عائلة العروس بكامل أفرادها مع كل الأهل والأقارب والأصدقاء ولابد على كل منهم أن يحمل معه هدية ليقدمها لعائلة الشاب السعيدة التي تكرمت عليهم بقبول ابنتهم العفيفة. وتستمر هذه العادة إلا أن يتم الإحتفال بالزواج وحتى بعد الزواج بل إلى يوم الوفاة. لقد كانت مالحة ترى في تلك العادة إهانة وإبتزازاً لعائلة الفتاة. وعندما يتم الزواج، لابد من العناية والإهتمام بأمور الفتاة ولو من بعيد، فإذا كانت لا تنال نصيباً كافياً من المأكل في دار زوجها، فإنها تزور دار والديها من حين لآخر لتأكل معهم شيئاً من الطعام. وكذلك عندما يحتاج الزوج إلى مصروف يومي لابد كذلك على أم الفتاة أن تمنحه شيئاً من النقود خشية أن تسود طباعه ويتعكر مزاجه فينهال عليها ضرباً"[1]. فنستنتج هنا من هذه المقولة أن هذه الصفات من عادات وتقاليد في قرية إغيل نزمان.

وكل هذا يحطم من قيمة المرأة بالنسبة لرجل ويجعله لا يتحمل المسؤولية في شيء ولا تساوي شيء بالنسبة له، فتصبح شيء عادي، فيمكن التخلي عنها في أي وقت وكذا تضيع مكانتها في المجتمع وهذا بسبب العادات السيئة التي إلتزمت بها.

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 45.

ب) المتمردات : تتمثل في العجائز والشابات

من بين العجائز نجد العجوز بابا سعيد، فكنت شرسة الطبع قاسية في معاملتها مع زوجة ابنها وأولادها وكانت تزرع الرعب في الناحية كلها وتتعدى على كل من تجده في طريقها وكم من مرة انهالت ضرباً على بابا السعيد نفسه بسبب طباعه الخبيثة. لقد كانت هزيلة الجسم نحيلة كالبغلة التي لم يبقى منها سوى الهيكل العظمي، لا تشفق على أحد وتسب الناس ليلاً ونهاراً[1].

وكذلك عندما صورها في خصامها مع ننه مالحة : "فتناولت العجوز عصاً غليظة وحالت أن تضرب بها مالحة ... وكانت الجارات ينتظرن بشغف تلك اللحظة التي ستنهال فيها العجوز ضرباً على بابا السعيد كالمعتاد"[2].

كما صور مولود فرعون "جدة أعمر" (كمومة)، تحدث فيها عن تمردها حين قال : "منذ أن عرفت جدتي، عرفت فيها عجوزاً معاكرة المزاج ساخطة دوماً على الناس، وكنت وأنا صغيراً أحب أن أراها في تلك الحالة تسب وتشتم كل من مسها بسوء"[3].

فقد جسد مولود فرعون المرأة المتمردة في شخصيات كبير سنها، ما يدل أن التمرد لا يكون في مقتبل العمر لأنه غير جائز في قرية إغيل نزمان بل بعد أن تقضي المرأة شبابها

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 38.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 41.
[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 112.

في الخضوع، وتقتني صوتها في الخدمة كالعبيد تفرع من كل شيء، فتجد نفسها قد خسرت كل شيء ولم يعد المجتمع بحاجة إليها وبالتالي فهي في نظر المجتمع معتوهة مجنونة لا يلومها أحد.

فئة الشابات : نجد أخت رحمة التي تحدث عنها الكاتب على لسان أعمر حيث قال: "أخت رحمة إمرأة من غير الممكن التعرف على سنها, لكن أظن أنها أصغر من رحمة، كيف للإنسان أن يعرف سنها بهذا الوجه المسكين الشاحب كأوراق الشجر اليابسة، كل شيء فيها يبدو عتيقا متعبا باليا، لباسها وبدنها على حد سواء حتى أنك لا تستطيع أن تعرف ما إذا كانت نظيفة أم وسخة فهي تشبه قطعة معدن علاها الصدأ فلا الصابون ولا الوسخ المتراكم عليها يغير من حالتها. وأيضا إن هذه المرأة تجسد بحق حياتنا البائسة ربما كان من الممكن أن تكون جميلة مبتهجة تحسد على ما هي فيه. كما كان من الممكن أيضا أن تكون محبوبة عند الناس وتعيش بذلك سعيدة. لكن الواقع شاء أن تكون مجردة من أي شيء قد يلفت النظر أو يرغب فيه الناس..."[1].

فقد تعاني أخت رحمة من الحرمان بسبب الأوضاع التي كانت تعيشها في تلك القرية لكنها كانت خاضعة لها متمردة في الآن ذاته، تعيشها بكل تفاصيلها، فقد قال عنها الكاتب عند النظر إليها والتمعن فيها:" يمكن أن تقول:" انظروا إلي إن كنتم تريدون معرفة حقيقة الحياة عندنا ولا تبحثوا عنها في مكان آخر... يكفيكم أن تنظروا إلي، وإذا كنتم

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 177.

ترغبون في العيش فما عليكم إلا الصراع من أجل البقاء حتى تصبح أيديكم خشنة مثل يدي وامشوا حفاة حتى تصير أقدامكم صلبة كالحجر وتدربوا على التقليد على الجوع حتى تشين وجوهكم ويفسد منظرها حتى تصبح مخيفة واعملوا بعد لتضمنوا لقمة العيش حتى تحين ساعتكم"[1].

فقد كانت هذه المرأة تصارع من أجل الحياة والبقاء في هذه القرية وتحملت كل أنواع الفقر والظلم والحرمان، هذا فقط من أجل العيش. أما رحمة فقد تمردت على الواقع بطريقتها الخاصة فانتحرت بسبب الظروف التي تعيشها حيث قال عنها الكاتب :" يقال أنها امرأة عانس مؤمنة و ساذجة لم تعرف دون شك معنى الحب طوال حياتها. عاشت منذ ولادتها في اغيل نزمان في هذا الأفق المغلق الذي تحيط به كل جانب الجبال الزرقاء التي تغطيها أشجار الزيتون. أفق مستدير يضيق كلما زاد عمقا مثل القمع الذي يرتسم في أسفله متعلق النهر الوحيد في العالم الذي تعرف اسمه والذي لم يسبق لها أن عبرته لترى ماذا يجري في القرى المجاورة هي ذي رحمة إذا امرأة من قريتنا كغيرها من النساء ..."[2] فقد سئمت هذه الفتاة معيشتها فانتحرت فقولها :" الجميع كان يتوقع ذالك لأنها ظلت تحاول الانتحار مدة سنتين دون أن تحقق مرغوبها إن المرء حقا لا يستطيع أن يموت متى شاء لكن رحمة

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 178.

[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 176.

توصلت إلى تحقيق أمنياتها في هذه المرة ... كان من الممكن أن تزيد رحمة من عمرها عشرة أو عشرين سنة لكنها لم ترد ذلك."[1]

فهي بالفعل حققت مرغوبها فانتصرت في الأخير.

أعمر (شخصية رئيسية):

أعمر من عائلة آيت العربي فهي عائلة النسب والحسب، فاسمه الكامل "أعمر نعمر" حيث حمل اسم أبيه لأن منطقة القبائل معروفة دائما بتسمية الطفل أو البنت باسم أجداده والدليل على ذلك يقول الكاتب:" وعادة ما يسمى الطفل باسم جده او عمه أو أحد إخوته المتوفين ، أما أنا فقد حملت إسم والدي لأنه توفي عندما ولدت، ومن يسأل عني في قرية اغيل نزمان ما عليه إلا أن يطلب أعمر بن عمر حتى يرشده الناس إلى مكان وجودي"[2]. ولكن هناك من ينادي أعمر بعميروش تصغير لإسم أعمر كذهبية أثناء قولها أقسم لك بحبنا يا عميروش...إني ملك لك...إنه خائف منك يا عميروش"[3]. وكذلك قولها :"نحن متعاطفون معك يا عميروش"[4]. " عليك أن تفهم يا عميروش"[5].

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 176 و 177.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 97.
[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 10.
[4] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 101.
[5] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 144.

فلقبه الحقيقي هو آيت شعبان فالسلطات الفرنسية هي التي أطلقت هذا الاسم، فأعمر والده جزائري و أمه فرنسية فتدعى بالمدام فمعناه السيدة لأنها فرنسية الجنسية حيث قال:" أمي فرنسية"[1] كذلك قوله:"أمي مسيحية"[2]، فأعمر كافر و يتيم الأب لقوله :"أصبحت يتيما وأنا لا أزال في بطن أمي ...أصبحت يتيما بأتم معنى الكلمة إذ فقدت أمي "[3].

فكان متمردا وذهبية ابنة عمه التي تحبه، ولكنه كان بائسا خاصة بعد وفاة والدته بسبب المرض فكان أعمر طول مرضها لم يتخلى عنها ولو للحظة كان معها وتبين ذلك في قوله:" أعاني على تحمل المتاعب والسهر والتضحيات،لقد نلت من المشقة ما لم أنله منذ ولادتي"[4] وكذلك:" لا تتوقف عن طلب أمور أتعب من أجل إحضارها."[5]

وأيضا قوله:" فلم أجد أحدا إلى جانبي ليقاسمني محنتي... وكان التعب ينال مني أشده حينما أقضي ليال بيضاء بجانب أمي المريضة "[6].

فأعمر رجل ذو أخلاق حسنة لم يترك أمه يوما ولم يشتكي أبدا ، فكان أعمر وسيما طويل القامة، قوي البنية، فكان يثير إعجاب كل فتيات القرية مثل ذهبية وويزة ...، فكان أنيقا ولكن هو لا يهتم بنفسه، وأن كبريائه ينم على تواضع كبير وجديه ليس لها نظير. وكان

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 97.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 142.
[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 97.
[4] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 103.
[5] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 104.
[6] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 105.

كلامه حلوا يبعث في قلبها الطمأنينة والدفء وحب التفاؤل"[1]. فكان كافرا مسيحيا حيث قال الكاتب:" تخلص أهل القرية بسرعة من جثة ذاك الكافر و حرموا روحه من تلاوة القران والصلاة عليها"[2] .

فأعمر صاحب القلب النبيل في قول الكاتب:" كرامته وطيبته جعلانه يحب كل الناس...فهو يؤمن بالأفكار النبيلة والمبادئ السامية ويتمسك بها"[3] وأيضا :" كرمه و عطفه على الفقراء والمساكين واحتقاره للأقوياء والأثرياء وثورته ضد الظلم والكذب ؟ لا احد يشهد له الآن بتلك الخصال الحميدة خصوصا (أهل إغيل نزمان)، فكان يكره النفاق ويحب الصراحة والحقيقة. حيث كل شبان القرية يسارعون للإستنجاد به أوقات الشدة خاصة عندما يتعرضون لمضيقات رجال الدرك أو الإدارة الفرنسية لأنه يعرف كيف يتصرف في مثل تلك المواقف"[4].

وكان أيضا:" يخفف عن المساكين كل تلك المآسي التي تحدث عنها... كان جميع أهل القرية يعترفون بطيبة قلبه حيث يفتحون له صدورهم ويخبرونه بكل ما كان يشغل بالهم

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 27 – 28.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 08.
[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 34.
[4] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 32.

حتما أن والدته، مع طيبتها هي كذلك، كانت تتهمه بالجنون والسذاجة فكان في مرة يطأطأ رأسه مبتسما ثم ينصرف وكأنه يعترف بالذنب"[1] .

"وكان اليتامى والمتسولون العجائز يستغلون طيبته ورفقه عليهم ويعتبرونه مغفلا فكانوا يطلبون منه أي شيء يتبادر إلى أذهانهم"[2] ولكن من جهة أخرى أعمر يبدوا قاسيا أحيانا حيث:" كان قاسيا جدا في الجزء الأخير من دفتر يومياته"[3].

ورغم كل هذا الخير والمساعدة التي يقدمها لأهل القرية لم يتحسس أحد على وفاته بالعكس كانوا مسرورين، فكان يحب ذهبية ولكن لم يشأ القدر أن يتزوجها في الأخير مات البطل (أعمر)

شخصية مقران:

يعد مقران من عائلة آيت سليمان معروفون بالكتمان السر، ومتماسكون بمبادئهم حيث قال الكاتب:" وفي نفس الأسبوع الذي وقفت الحادثة، طردت ويزة من دار زوجها وأعيدت إلى أهلها كما أشار إلى ذلك أعمر في يومياته. ورغم أن بيت آيت سليمان لم يتركوا أي خبر يتسلل عن الحادث لأنهم معروفون بكتمان السر."[4]

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 33.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 33.
[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 31.
[4] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 91.

فأبوه السعيد آيت سليمان شيخ معروف في القرية كالتقوى ويمتاز " بيداه الكبيرتان توهمان من يراهما أنه قوي البنية لكنه لم يكن أكبر منهما فهو قصير القامة دون المتوسط مقارنة بالرجال، ... لقد كان أشبه بكلب "البولدوج". رأسه ضخم وفمه كبير جدا، وعيناه ترعبان الأطفال، ومع أنه كان يحلق ذقنه دون توقف إلا أن البقع السوداء التي تتركها لحيته الكثيفة كانت تزيد بشرته السمراء التي أحرقتها أشعة الشمس سوادا على سواد"[1]. فمقران شرير وغليظ لأنه حاول انتهاك عرض ذهبية بالقوة من أجل قضية ثأر حقيرة كي يلطخ شرفها وشرفه هو كذلك وهذا المقطع الذي يدل على ذلك:" عندما عادت من عملها في الحقول حيث وجدت على عتبة منزلها صحنا محطما تناثرت أجزاؤه وبجنبه كمية من الكسكسي. فقالت لإبنتها ذهبية: أأنت التي فعلت هذا ؟ فأجابتها ذهبية : نعم, أنا, إنه كسكسي آيت سليمان، لقد جاء مقران وأحضره لنا.

وبعد ذلك، ماذا حدث ؟

لا شيء، لقد حاول أن يقبلني..."[2] .

وكذلك مد لها الصحن بخبث في قوله:"... وأمسك بها من خصرها كالكلب المسعور الذي يهجم على الناس دون نباح[3]."

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 55 – 56.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 39 – 40.
[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 54.

وأيضا:" كان يلتهمها بنظراته حتى يكاد ينزع عنها اللباس دون حياء ... ويحملق فيها بعينيه الكبيرتين السوداوين ولا يفارقها أبدا بنظراته المحرقة...، بل كأنه يريد إثارتها والتعبير عن غضبه ورغبته في آن واحد"[1] وأيضا:" تلك الرغبة كانت نابعة من إحتقاره الظاهر لهذه الفتاة المسيحية،و في تصوره فإن هذه المسيحية التي فتنته بجمالها و حركت مشاعر رجل مسلم متعصب مثله"[2].

كانت تستحق أن ينهك عرضها بدون شفقة وكان أعمر وذهبية يكرهونه بسبب أفعاله، ولديه أخاه الأكبر منه يشتغل كاتبا في البلدية وناطورا فهو " شاب يشبه أباه خلقا وخلقا مطيع لأوامره ومتعصب"[3]. كذلك : "وكان شبان القرية لا يحبونه لأنهم يعتبرونه متأخرا يؤمن بخرافات أمه ويشبه أباه في نفاقه وحقده للناس، لقد كانت عائلة آيت سليمان ترى فيه خلقا حسنا يستطيع أن يحافظ على روحها وصفاتها، وإذا كان الناس يعاشرونه ولو على مضض فلأنه كان غنيا قد يقرضهم بعض المال عند الحاجة، ونظرا لطبعه الوحداني كان لا يميل إلى التحدث مع الآخرين لذلك كان يقوم دوما بمفرده بالأعمال الفلاحية التي كلف بها، لقد كان عنيدا جدا في سلوكه مع ذهبية..."[4]. وبعد مرور عدة أيام كان نادما على فعلته ودليل على ذلك :"انقطع مقران عن معاكستها و الترصد لها وكأنه قرر أن يكون من المنسيين...،

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 53.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 53.
[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 38.
[4] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 56.

فكلما تصادفه ذهبية يكون مشغولا يجمع الحشائش وتصليح السياج...، وكان مقران يدير ظهره لذهبية وصديقاتها..."[1].

وكذلك قوله:" فأصبحت ذهبية على يقين أن مقران لا يشكل أي خطر على حياتها فهو كما يبدو ويتظاهر بالخجل ويريد أن يثير عطفها لكنه منافق خبيث فهي تفرق ذلك جيدا لذلك فهي تكن له كرها شديدا مثل ذي قبل... وفي أحد الأيام إلتقت به صدفة بالقرب من الكوخ يقطع الحطب وتوقف عن عمله وأدار وجهه الذي ملأته المفاجأة ليحملق فيها بشدة وتوقف عن قطع الحطب رافعا الشاقور في يده تحية واحتراما لها دون أن يفقه ما كان يفعل"[2]. وأن مقران لم يعد يهتم بذهبية .

إغيل نزمان: هي قرية قبائلية صغيرة يعيش فيها أناس قليلين فهي تحتوي على أشجار الزيتون لأن منطقة القبائل مشهورة بأشجار الزيتون فهم يتميزون بزيت الزيتون وأشجار التين وكذلك يملكون الثيران والعديد من البقر، فهي تحتوي على أزقة ضيقة وأكواخ وحقول خضراء بالإضافة إلى العين التي يتضمن النساء هناك لملئ الجرار ويتحدثن عن أمور نساء القرية، وأخبارهم وعن أحوال القرية، فالراوي يصف لنا ذهبية كيف تذهب إلى العين فيقول : " يا ذهبية خذي جرتك فنحن فانتظارك ،فالجماعة غاصة بالناس "[3] فيقول: "ومنذ ذلك الحين صرت أتعجل العودة إلى بلادي لرؤيتها والتمتع بجمالها والمشي فوق ترابها

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 57.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 57 – 58.
[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 25.

واستنشاق هوائها النقي والتعرض لأشعة شمسها المحرقة وغبار أرضها الأبيض وتذوق فواكهها اللذيذة و معاكسة بناتها السمر"[1].

وأيضا قوله : "أتصور أمامي جبال جرجرة الشامخة الثابتة وقممها المكسوة بالثلوج التي يحيط بها الضباب وتكاد تصل إلى السماء، هي أسوار حصينة تفصلنا عن الدنيا، وحولها تترامى هضاب زرقاء تغطيها أشجار نحيلة دكناء، تربتها قاحلة شاحبة تتركب من الشيست أو من الرمل نبتت عليها بعض الأعشاب القليلة، هي أرض يعيش فيها رجال هزلى و ذئاب جياع وعنزات عجاف، ويخيل إلي أن هؤلاء الشيوخ والعجائز والنساء والفتيات والصبيان"[2].

وكذلك قوله : " نحن القبائل قوم نعتز بأنفسنا و بحريتنا ولا نكترث بالبؤس والشقاء. فلتحيى إذن قرية إغيل نزمان و كل قرى بلاد القبائل لأننا نعيش فيها في جو عائلي".[3] وصف لنا الكاتب جمال قرية إغيل نزمان و مدحها.

الأنا المهاجرة:

الهجرة ظاهرة مرتبطة بالمجتمعات البشرية منذ بدء الخلق لها دواعيها وتأثيراتها الثقافية والإجتماعية، ومن المفكرين الذين تناولوا مصطلح الهجرة نجد محمد حسين فضل الله

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 122 – 123.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 186.
[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 124.

الذي يعرفها على أنها "نقلة في حياة الإنسان يخرج بها عن النطاق الإعتيادي لجميع الروابط الإجتماعية والعائلية وغير ذلك... وما يترتب عليها من آثار نفسية إضافة إلى أنها فرصة يبحث فيها عن وضع سياسي، أو إجتماعي أفضل، خدمة لمبادئه وقضيته، إذ ربما يستطيع التحرر من دائرة أوسع وأكثر حرية"[1] السبب الذي يدفع الإنسان إلى الهجرة هي الظروف المزرية التي يعيشها في بلده، بحثا عن مستوى أفضل للعيش والسكن و الأمن .

فهناك من يعتقد أن الطريق الوحيد للهروب من الفقر والحرمان هو هجرة الأوطان وإتخاذ الغرب (فرنسا) وطناً بديلاً للوطن الأم (الجزائر) وبسبب الظروف المزرية التي يعيشها في بلده الأم مما يدفعهم إلى الحراقة الذي يعرف باللهجة الدرجة وسميت بهذا الإسم لأنهم يحرقون أوراق ثبوتية جنسهم وجوازات سفرهم، ويغامرون بحياتهم على متن قوارب الموت بحيث استحقوا هذه التسمية لأنهم يحرقون قلوب أمهاتهم، ونجسد ذلك في قول الكاتب : "والمصيبة أن نهايتهم غالبا ما تكون في نهر السين، فإذا ما طفت جثة أحدهم على سطح الماء رأيت أبناء قريته يجمعون التبرعات للتكفل بإرسال الجثمان إلى بلاد القبائل وكذلك الأمر بالنسبة لباريس فهي تبعث من وقت لآخر ببعض المغتربين الفاشلين إلى أرض الوطن فتتخلص منهم"[2]. فكثيرا ممن ترك بلده الأم (مسقط رأسه) ظنوا أن ديار الغربة سهلة، وتتغير حياتهم إلى الأفضل ولكن في الأخير وجدوها صعبة فعادوا إلى بلادهم الأصلية.

[1] محمد حسين فضل الله : تحديات المهاجرين بين الأصالة والمعاصرة، دار الملاك، ط1، 2000، ص 5.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 203.

ومن خلال رواية الدروب الشاقة لمولود فرعون، نرى أن الأنا المهاجرة (أعمر وسعيد وأبناء قريته) أثناء رحلتهم التي كانت رحلة ممتعة وهذا ما يحدده قائلاً : "وحجزنا تذاكرنا دون تردد في أصغر سفينة تابعة لشركة غير معروفة، وأبحرنا عند الساعة السادسة مساءاً، كنا نرى ضباباً كثيفاً يغطي مدينة الجزائر وكان البحر أزرق داكن وفوق تلك الزرقة الدكناء كان يبدو لنا في الأفق البعيد شريط مخضر فاتح، وكانت تبدو لنا من فوقها سحابة وردية يتلاشى لونها تدريجياً حتى يختلط بزرقة السماء الشاحبة وكانت جهة البحر لا تزال مشرقة بينما توارت شواطئ الجزائر شيئاً فشيئاً في الظلام ... كان البحر هادئاً جداً ولم نكن نشعر إلا بهزات أمواج البحر الخفيفة وكأننا مسافرون على زربية واسعة من القطيعة تحركها بنعومة يد خفيفة، وكانت الباخرة تشق البحر فتشكل ثلماً كبيراً كأنه من فضة سرعان ما يزول كالحلم الشارد، وكنا متراصين جنباً إلى جنب على متن الباخرة نتأمل البحر في صمت، فمنا من كان تبدوا عليه مظاهر الخشية والتردد ومنا من كانت تظهر عليه قوة العزيمة والإستعداد لمواجهة الصعاب"[1].

بالرغم من النجاة لم يصيبهم أي مرض من خلال مدة السفر، ووصلوا بسلام إلى الأرض المجهولة (فرنسا) إلا أن هذا لا يعني أن حياة وردية تنتظرهم هناك في فرنسا في قوله : "وكأننا مقدمين على سباق قد يخفي كثيراً من المفاجآت"[2].

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 187 و 188.

[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 188.

يتفاقم وضع أحد المهاجرين منهم (الشيخ دحمان) عندما ينهكه الجوع والعطش فليلجأ إلى دخول عالم السرقات من أجل الحصول على ما يسد به رمقه في ذلك المجتمع الذي لا يرحم أحد، وهذا ما يحدده قائلاً : "سأله أعمر : هل كنت تسرق يا عم دحمان ؟

– أجل يا بني، لابد عليك أن تسرق وتكذب وتتمسكن وتتباكى، وأنسى تماماً الحياء والخجل"[1].

وكل هذا من أجل كسب لقمة عيشه لأن ديار الغربة صعبة أحياناً يجدون أنفسهم في طريق الفساد فتتلوث سمعتهم وكذلك ينالون الشتم والسب والضرب.

الأنا بين الحلم وصدمة الواقع :

الحلم هو : "تمزيق القناع عن أسرار الأنا المختفية، أو الذات السامية حيث تكشف الأحلام والهذيانات والإهتزاز العميق لروح فقدت الأمان، وإذا ما كانت الشخصية تحاول أن تبدوا منسجمة وطبيعية في صحوها فإن الحلم يكشف إستحالة المحاولة لذات دمرها واقعها واغتربت عن هاجس حريتها"[2]. وقد تجسد هذا الحلم لدى أعمر الذي حمل معه إلى فرنسا أحلامه وأمانيه معتقداً أن أوربا هي الجنة وأنها بلاد الأحلام، فوضح ذلك في المقطع التالي

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 200.

[2] يحي العبد الله، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية، دار ألفارس للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2004، ص 201 و 202.

: "فاننا نشعر بأننا أرواح مسكينة تزور الجنة التي وعد الله بها شعبها المختار، فيسمح لنا سكن هذه الجنة بالإقامة بينهم رغم أننا لسنا منهم"[1].

إن سبب هجرة الأوطان هو إعتبار فرنسا هي الله فوق الأرض مما أدى إلى تغيير نظرة الأنا العربي تجاه الآخر الغربي، وهذا ما نجده في قوله : "نحن نعلم أنكم تهاجرون بلاد الجوع وتسافرون إلى بلاد الجنة ولكننا نعلم أيضاً أنكم ستظلون هنالك غربا وستعودون يوماً لا محالة إلى جحيم بلادكم، ونحن الأول من ستفكرون فيهم عند وصولكم إلى بلاد الغربة، إذهبوا فنحن لا نحسدكم على ذلك ... إننا نعلم أنكم ستتعذبون وستعانون كثيراً"[2]. الكثير ممن رحلوا ثم ندموا وعادوا إلى بلادهم الأم، صدق القول : العودة إلى الأصل فضيلة.

الأنا المغتربة :

يعد الاغتراب ظاهرة من ظواهر إنسانية رافقت المجتمعات البشرية منذ بدء الخليقة فاتخذت صوراً معقدة في العصر الحديث بسبب كثرة التعاريف الموضوعة له، نذكر من بينها تعريف أحلام الزعيم : " الاغتراب في أبسط معانيه هو تصدع الذات ذات الفرد و انشقاقها نتيجة عدم تواؤمها مع المجتمع والعالم المحيط بها."[3] وكما نجد أن حالة الاغتراب رافقت المغتربين وجعلت منهم أناس لا يشعرون بالاستقرار والإطمئنان، فهو واقع سلبي يشوه

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 196.

[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 186.

[3] لزهر مساعديه : نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية، القبة، الجزائر، د.ط، 2013، ص 61.

هوية الإنسان وجوهره في قول الكاتب : "إن كل هؤلاء الأغبياء الحمقى الذين يهاجرون إلى فرنسا ويعيشون هناك عيشة مضنية يدعون أن الفرنسيين هم السبب في مأساتهم".[1]

وكذلك قوله: " فالشبان الذين لا يرضون بالعمل هنا يجدون أنفسهم يوما ما مبحيرين إلى ديار الغربة ليواجهوا هناك قساوة الحياة". [2]

وأيضاً قوله : "نحن المعذبون في الارض سنحتقركم لأنكم ستكونون معذبين مثلنا في ديار الغربة ولن تتمكنوا من الهروب مما قدر عليكم".[3]

وكما نجد أن مولود فرعون صور لنا الإغتراب عند شخصية أعمر كالتالي:

أ- الإغتراب الذاتي عند البطل (أعمر) :

إن الظروف التي عايشها أعمر خلال فترة الخمسينات من القرن العشرين في إحدى قرى بلاد القبائل قرية إغيل نزمان، هي التي دفعته أن ينسحب بآماله، ويؤثر الموقف السلبي الذي تحكمه نظرته الأحادية لذاته، وإحساسه بالظلم الواقع عليه، وقد عبر عن ذلك بأحسن تعبير من خلال مناجاته لنفسه : "أود أن أبدأ من البداية وأتحدث بهدوء عن كل الأمور التي تخصني موضوعيا في ذلك أريد أن أشرح لماذا أرفض وجودي في الحياة ولماذا أرفض كل ما فيها منذ البارحة، إلا أنني الآن أحس بغليان في رأسي وبفقاعات الغليان تتولد وتنفجر

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 35.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 180.
[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 186.

دون توقف. وكل فقاعة من تلك الفقاعات هي في الحقيقة فكرة من الأفكار التي أحاول عبثا الإمساك بها قبل أن تتفلت من ذهني، وتختلط الأفكار في رأسي حتى يكاد ينفجر فيضطرب بصري فأصبح عاجزا عن التفكير والكتابة "[1].

كما نجد أن أعمر فقد يعاني من التشويش والفوضى الشيء الذي أثر على نفسيته وأصبح عاجزا عن التعبير "ولكن المشكلة أنه حينما أجدني أمام أوراقي تتلاشى الأفكار من ذهني ويضيع الأهم وأصبح عاجزا عن الكتابة بسبب الغضب الذي ينتابني، وعندما أقدم على التعبير عنه لا يأتيني الإلهام فأصبح عاجزا على فعل أي شيء". [2] أي أن العجز الذي أصاب أعمر بسبب معاناته التي عاشها في حياته، فأثرت في نفسيته، وشوش عقله من التفكير.

يعاني أعمر من الملل الذي أصابه من كل شيء، مما حوله من شخص رافض لسنن الحياة، وساخطاً على حالته الاجتماعية، فيرفض فكرة الزواج التي رسخها في ذهنه أنها تقيد حريته، وخوفاً على مستقبل إبنه إذا ما قبل بفكرة الزواج والإستقرار في قريته والمقطع الدال على ذلك : "يا لها من مفخرة أن أعيش مثل ما عاشت أمي في إغيل نزمان وأن أنجب

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 111.

[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 149.

طفلا وأربيه مثلما ربتني ... يا للنصر الكبير ! لا إنها حماقة لا تغتفر. ما أثقل رأسي من شدة النعاس، أنا متيقن الآن أنني صرت أهذي كمن فقد صوابه".[1]

لقد تحول أعمر أيضاً بفضل التمزق والضياع والفراغ النفسي إلى شخص يهذي كالمجنون دون أن يعرف ما يقوله، كما في قول الكاتب : "ها أنا ذا أنفعل مرة أخرى، ويتقلب مزاجي وأرفع صوتي بصورة لن أتعود عليها، ربما لأنني لاحظت أن الليل بدأ يرخي سدوله وشعرت بأن الصقيع بدأ يعم أرجاء القرية في تلك الليلة الحالكة والهادئة إن هذا الصمت الرهيب يحيط بي من كل جهة وإني لأتخيل أنني وحيد في هذا العالم المتجمد وأمامي موقد تكاد تخمد نيرانه وأجدني لا أقوى على الحركة لأؤججها ... ووحيداً أفكر في كل هذه الأمور وفي مصير إخواني، لكنني أشعر بغضب لا أفهم مصدره ينزل علي من السقف ويتصبب من الجدران ويصعد من تحت أديم الأرض فيملأ الدار كالضباب ويتسلل إلى بدني من خلال جلدي ليخنق أنفاسي، يا إلهي لماذا أتدخل في كل هذه الأمور التي لا تعنيني ..."[2].

ولم يجد أعمر من مؤنس في وحدته، غير اللجوء إلى كأس الخمر الذي ينسيه هموم الوجود قوله : "أنا أرفض كل شيء عدا هذه القارورة الصغيرة من الأتيسات التي سأشربها حتى أسكر وعدا هذا الأنبوب من دواء الجردنال التي سأذيبها قبل أن أسكر"[3]. إضافة إلى

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 156.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 212 – 213.
[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 219.

أن أعمر يغيب عنه الوعي وينسى ضربات الزمان فهذه الحالة لا تدوم كثيراً حتى تعود حالته إلى وضعه الأول فيستيقظ شعوره في قول الكاتب : "أنا حقا لم أفقد الأمل، لم أعد أحس بشيء، الأمر غريب حقا، لم أعد أحس بالرغبة ولا بالغضب ولا بالحقد. يبدو أن روحي قد إنفصلت عني وأنها منتصبة ها هنا أمامي لتملي علي بعض التخمينات الخائبة التي ستدونها يدي الطيعة كالآلة مثلما ستتناول بعد قليل قارورة الأنيسات وتسقيني منها بصفة آلية لا جدوى من التفكير الآن في أي شيء، الأفضل أن ألتزم الصمت"[1] أي أن أعمر يعاني في داخل نفسه من إضطراب ومعاناته لذا أصبح عاجزاً عن عمل أي شيء.

ب-اغتراب البطل (أعمر) عن المجتمع :

إن ضغط المجتمع على أعمر فكرياً واجتماعياً، واقتصادياً أجبره على تحدي قوانينه وقيمه وتقاليده. ولكنه لم يستطع الثبات أمام قوة سلطانه الذي يأخذه به، وقد أدى عجزه عن مواجهة قوانينه إلى سقوطه وإلى الشعور بالفراغ والتمزق والضياع، ثم إلى ممارسة الرذيلة، وأحياناً إلى إقتناعه باستعلاء كاذب على المجتمع، لأنه أخفق في التكيف مع تقاليده وقوانينه، ويؤكد هذا إشارته إلى وجوب إنفصال الأخلاق عن القيم الإجتماعية والنواميس الدينية : "ذلك أن من أهم الأسباب الفاعلة في إغتراب البطل عن قيم مجتمعه، وتقاليده، وعن إنسان هذا المجتمع، نظرته إلى الحياة والوجود، وإلى الإنسان الذي يفد إلى العالم دون

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 220.

أن تكون له حرية الإختيار في الوجود، ودون أن تكون له حرية الإعتراض أو القدرة على التغيير"[1]. فهنا على أعمر عليه التأقلم مع وضع مجتمعه رغم لا يريده.

نجد أول مظهر من مظاهر تمرد أعمر على القوانين الإجتماعية هو جهره بكسر حرمة رمضان، كتحد للنواميس الاجتماعية في قول الكاتب : "أتذكر أنني في وقت مضى رفضت القيام بفريضة الصوم كي يفهموا أنني لا أخشى أحدا منهم، إلا أنهم لم يردوا على هذا التحدي"[2]. فأدرك حينها أعمر أن مثل هذا السلوك يرضيهم، فقرر مرة أخرى أن يتحداهم ويصوم مثلما يصوم الآخرون في قوله : "وقلت لهم في قرارة نفسي : لا يمكنني أن تمنعوني من الصيام" وفي السنة الموالية صمت كما يصوم غيري بل أحسن منهم لأنني كنت أصل إلى الجماعة خاوي البطن فارغ الذهن ناشف الريق"[3].

وكان أهل القرية يسخرون من سلوكيات أعمر بقولهم : "ولما يصوم ابن كافرة مثله ! إن صيامه غير جائز ولا يجوز إلا على الاتقياء مثلنا"[4]. وهذا ما جعل أعمر يعلن تمرده على أعراف مجتمعه قوله : "منذئذ اتخذت موقفاً واضحاً فلم أعد أصوم أبداً وصرت

[1] حسن عليان، البطل في الرواية العربية في بلاد الشام منذ الحرب العالمية الأولى حتى 1973، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، متبعة الجامعة الأردنية، ط1، عمان، 2001، ص 103

[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 119.

[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 119.

[4] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 119.

كالشيطان مع أتباعي وكنا نسخر منهم ونستهزئ بصيامهم"[1]. أي أن أعمر لم يحترم عادات وتقاليد مجتمعه.

وأن التمزق حدث بفعل متغيرات كثيرة في الثقافة، والإجتماع والسياسة أدت إلى إنسلاخ أعمر عن مجتمعه بفكره وسلوكه وقد نتج عن الاغتراب سقوط أعمر في حبائل الجنس قوله : "أنا لا أحب ذهبية بل أشعر بالرغبة الجنسية تجاهها ولذلك لا ينبغي على أن أخوض معها قصة حب أبدية ثم إنني لا أريد التقيد بكل تلك السخافات"[2]. ويدل هذا على أن خضوع أعمر لرغباته الجنسية في محاولة الهروب من الواقع الإجتماعي.

ولم يكن رفض أعمر للقيم الدينية (كصوم رمضان) مرتبطاً بقريته، بل تمرداً عليها حتى في بلاد المهجر في قوله : "غير أننا ضربنا عرض الحائط كل المبادئ الدينية فكنا لا نصوم رمضان، ونشرب الخمر حتى الثمالة ونأكل لحم الخنزير"[3]. فأعمر وأصدقائه لم يهتموا بعادات وتقاليد مجتمعهم في ديار الغربة.

ج-اغتراب أعمر عن الوطن:

لقد أحس أعمر نعمر بفقدان ارتباطه بوطنه الجزائر لأنه لم يرى أي جدوى يمكن أن يحققها للاتصال به، فهو بلد يرعاه الجهل وإرث التخلف ، فانفصل عنه حتى يطهر نفسه

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 120.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 131.
[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 121.

من آثار الحياة الاجتماعية والسياسية، مما حوله إلى إنسان ممزق لا يستطيع أن يقيم في ظل هذه الحالة إلا وطنا ممزقا، بعد أن فقد اتجاهه الصحيح لحركته الفكرية وسلوكه الوطني، وقد أسلمه هذا التصدع إلى الشلل المرحلي بدلا من التفاعل بقضايا الوطن في قول الكاتب : " كنت أتمنى ألا أكون قبائليا لأنه كان أمامي مجال للإختيار، فكان لابد على شخص آخر أن يختار مكاني ولكنه لم يفعل، أنا حقا ساخط على من أراد لي ما أنا عليه الآن لكن ما باليد حيلة..."[1].

ويصل الأمر بأعمر في السخط إلى درجة التجرد من هويته وانتمائه ولو كان هناك مجال لاختيار الهوية كما يعتقد ما كان ليختار أن يكون قبائليا في قول الكاتب : " ودون أية مبالغة، لو خيرت منذ البداية لما رضيت أن أكون من القبائل، ولا أدري كيف أنني صرت كذلك"[2].

كما اعتبر أعمر أن المكان الذي تربى فيه مكان ملعون في قول الكاتب: "كان من الممكن أن أولد في هذا البلد المغضوب عليه"[3]. فهو تمنى لو كان ميلاده في أرض فرنسا في قول الكاتب : " ولو أنني ولدت في فرنسا وعشت حياتي هناك مهما يكن مستواها، لما وجدت ما أعيبه على أحد في سن الخامسة والعشرين ولكنت رجلا يعيش وسط ملايين الرجال سعيدا أو مسكينا، ولما كنت موضوع حديث الآخرين، أنا غير راض على أمي لأنها

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 154.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 154.
[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 153.

جعلت مني مواطنا قبائليا يعرف جيدا أصله ويتمسك به بينما كان في مقدورها أن تأخذني إلى فرنسا لأتربى هناك"[1]. وهذا يشير إلى أن رؤية أعمر لنفسه بينت انفصاله عن فكرة الاتصال بالوطن بشكل أو بآخر.

وفي شعور أعمر باليأس، وبخيبة الأمل في تحقيق التلاحم بالوطن قاده هذا الشعور إلى ضرورة اتخاذ قرار الرحيل عن الوطن قوله : " سوف أرحل عن هذه الجبال التي تحول بيني وبين الأفق إلى الأبد..."[2].

فأعمر لم يجد في نفسه مسوغات مقنعة تحبب إليه البقاء، ويستطيع معها أن يحقق بعض من أحلامه ورغباته أو أن يعيش الحياة بحقائقها في قول الكاتب : " أنه لا دين لي ولا مبادئ ولا أملاك فماذا علي أن أفعل... وماذا علي ألا أفعل؟ على أي حال لن أبقى هنا لأنني لم أعد أحتمل أي شيء في هذه البلاد"2.

الأنا والحنين للوطن :

إن الغربة عن الأوطان والبعد عنها من الأمور التي تورث القلب الحنين والشوق ، فالوطن كالأم الحنون التي تحتضن أطفالها وتمنحهم الشعور بالأمان والسكينة، فالإنسان مهما إبتعد عن بلده فيشعر بالضيق النفسي والقلق والإكتئاب، فمهماً سافر وزار من بلدان

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 154.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 204.

حول العالم فلن يجد أحن من وطنه ومسقط رأسه، فالغربة مثل الطعم المر قاسية وصعبة لذلك يبقى الوطن حاجة أساسية ومطلبا ضروريا لحياته، وشرطا ملحا لإثبات هويته وانتمائه.

من هنا نتطرق إلى معنى الوطن حيث يختلف مفهومه في عصوره القديمة عن مفهومه عن العصور الحديثة " فقد كان مفهوم الوطن في القديم ضيقا يشمل الحي ومحل الإقامة، ثم صار يتسع كلما تقدم الزمن، ومنذ القديم ارتبط الشوق والحنين بالوطن، فصار الحنين إلى الأوطان شائعا في كل العصور... وسواء أكان الوطن مسقط رأسه، أم لم يكن، فالحنين إلى الأوطان انتماء وولاء وحب وحنين، ولا يقتصر هذا الحب والحنين على الإنسان، بل يشمل الحيوان أيضا"[1]. فرغم اختلاف مفهوم الوطن قديما وحديثا, فنجد الحنين إلى الأوطان دائما حاضرة في قلوب الغرباء عن بلدهم.

لا شيء أشق على النفس من مرارة فراق الأهل و الأوطان ولا عذاب في الدنيا يساوي عذاب الوطن وهذا ما يعرضه لنا هذا المقطع التالي : " وكنت كلما سمعت أحد الفرنسيين في باريس يقول لي : "عد إلى بلادك أيها الفأر الصغير" أدرك أن لي وطن وأنني سأظل أعتبر أجنبيا في غيره من الأوطان ولم أدرك هذه الحقيقة الخفية إلا بعد عشرين سنة ومنذ ذلك الحين صرت أتعجل العودة إلى بلادي لرؤيتها والتمتع بجمالها والمشي فوق ترابها

[1] يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، دار مجد اللاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008، ص 10.

واستنشاق هوائها النقي والتعرض لأشعة شمسها المحروقة وغبار أرضها الأبيض وتذوق فواكهها اللذيذة ومعاكسة بناتها السمر"[1].

وكذلك أثناء قوله : "إني لم أنس من الماضي شيئا، حتى و أنا في آث واظوا كنت أفكر فيكم كلكم، والدليل على ذلك أنني عدت إليكم لأعيش بينكم، كذلك بالنسبة للرجال أيضا فمهما سافروا وابتعدوا فإنهم عائدون إلى القرية يوما، صدقني يا صغيري أعمر لا يوجد في الدنيا مكان يرتاح له الإنسان مثل مسقط رأسه أرض أجداده وطفولته. وحينما لا يجد الإنسان ضالته أينما حل يقول في نفسه : "الحمد لله أن لي وطن " فتعود إليه مرفوع الرأس ويستقبلك بين أحضانه ، كل ما عدا ذلك يا بني إن هو إلا كذب وافتراء، من الطبيعي إذن أن أعود إلى مسقط رأسي كي أقضي ما تبقى من حياتي"[2]. يصور لنا هذه المقاطع الشعور بالاشتياق والحنين للوطن.

إن الحنين إلى الوطن هو هاجس كل غريب عن الديار وهو الرابط الزمني والعاطفي والوجداني الذي لا يستطيع الإنسان حذفه من الأعماق فالروح لا يهدئ لها البال ولا يستقر لها قرار إلا في مسقط رأسها ولا تشفى إلا بلثم ترابها وشم عبقها، وكما كان النسيان نعمة كانت الذكريات مؤلمة، نحاول النسيان ولكن الذكرى تأتي كمطرقة كما هو الحال عند أعمر : " وكنت كلما فكرت في أبناء قريتي، وأنا في المهجر يأتي إلى مخيلتي هذا المشهد،

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 122 – 123.

[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 134 – 135.

أتصور أمامي جبال جرجرة الشامخة الثابتة وقممها المكسوة بالثلوج التي يحيط بها الضباب وتكاد تصل إلى السماء. هي أسوار حصينة تفصلنا عن الدنيا، وحولها تترامى هضاب زرقاء تغطيها أشجار نحيلة دكناء، تربتها قاحلة شاحبة تتركب من الشيست أو من الرمل نبتت عليها بعض الأعشاب القليلة"[1].

وبناء ما سبق نستخلص أن الإنسان دائما يحن إلى وطنه الأم (بلاده)مهما عاش فيها من حرمان وفقر وبؤس وجوع وظلم ،ولكن روحه تبقى مرتبطة بها فدائما يشتاق إليها، فلا يشعر بقيمة الأرض والوطن إلا من ذاق طعم الغربة وقسوتها.

تجليات الآخر في رواية الدروب الشاقة:

يعد الآخر من القضايا التي تناولتها الدراسات الأدبية، وذلك أنه عنصر فعال نكتشف من خلال المواقف المتباينة مع الأنا، ومن خلال دراستنا لروايه الدروب الشاقة، فنجد قد برزت بعض صور الآخر.

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 138.

تمثلات صورة الآخر في الرواية

شخصيات الآخر:

المدام[1]:

تعرف بهذا الاسم لأنها فرنسية الأصل : " أتفهمني... إنها فرنسية نعم، نعم... إني سمعت بها من قبل أأنت ابنها الوحيد يا حكيم ..."[2]

وهي أم أعمر متكبرة متسلطة على الفقراء لأنها غنية وهي إمرأة تفتخر كثيرا بجمال إبنها الذي كان بنات القرية يتمنون الزواج به وكانت ننه مالحة من أول النساء تتمناه لإبنتها ذهبية، فكانت أمه تقول أنها لا تستطيع أن تسمح لنفسها أن تقترح له فتاة أو حتى تساعده على العثور على التي يتزوجها و على أي حال، فالمسكين لا يزال في الغربة بعيدا عني، أتفهمين إذن نحن الفرنسيون نختلف عنكم كثيرا في عاداتنا الخاصة بالزواج ،فجوابها كان واضح فهي لا ترغب في ذهبية كزوجة لإبنها أعمر لأنها من عائلة راقية وذهبية من عائلة فقيرة.

الأب المسيحي: من قرية آث واضو مسيحي الأصل، وهو زوج ننه مالحة وليس بأب ذهبية، هو فاشل وغليظ وخائن لزوجته لأنه دائم السكر مما جعله عديم المسؤولية، وكان قاسيا مع ذهبية ويخاطبها بالساقطة ويذكرها دائما بأنها ليست إبنته الحقيقية لأنه عديم

[1] المدام : تعرف بهذا الإسم لأنها فرنسية الأصل.

[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 97.

الإحساس والشعور قوله : " موتي أيتها اللعينة، فأنت لست ابنتيي !"[1] لكن القدر شاء أن يموت هو ويترك في قلبها جرحا لا يندمل، لا يمضي يوم إلا وتحس به يزيد عمقا منذ صغرها، كانت تؤنب أمها بقساوة وتتهمها بالعار وتحتقر أباها، غير مكترثة بكلام أمها التافه متهربة من أبيها الذي كان عنيدا سيئ الطبع سكيرا يرضى بخيانة زوجته وسلوكه المنحرف.

مونيك: هو اسم الأصلي لذهبية في قول الكاتب : " بل أنا لست كغيري من البنات لأنني مسيحية وإسمي مونيك"[2]، ودرست عند الفرنسيين في قول الكاتب : " وها هي الآن تكتب كالطفلة الصغيرة المجتهدة أو كتلميذة في المدرسة الإبتدائية تعلمت كيف تدون بدقة الحروف الهجائية وتطبق القواعد النحوية وتتعرف على العلاقة بين عناصر الجملة"[3] وقد تم تعميدها في الكنيسة وكانت تذهب للصلاة معهم : يوم الأحد عندما بلغت ذهبية سن الثانية عشر أصبحت نحضر دوما صلاة الأحد بالكنيسة وتعي جيدا كل ما كان يقول الغوري[4]. لذلك أطلق عليها إسم مونيك بعدما رحلت إلى قرية اغيل نزمان، أين إلتقطت بأعمر.

فرنسا : هو المكان الذي كان يلجأ إليه الناس فهناك من يكون ذاهبا من أجل العمل وهناك من يكون ذاهبا من أجل السياحة والسفر، ولكن في الرواية نجد أن سكان قرية إغيل

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 15.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 217.
[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 6.
[4] الخوري : إسم ميسيحي، وهو الأب الذي كان يصلون معه في الكنيسة، وكانوا بعد الصلاة يقبلون رأسه كل صلاة وذلك يوم الأحد.

نزمان يسافرون من أجل الوضع الذي يعيشونه في تلك القرية حيث كان شباب القرية يقولون : " تهاجرون بلاد الجوع ونسافر إلى بلاد الجنة فرنسا"[1].

ولكنهم سيظلونه هناك غرباء سيعودون يوما لا محالة إلى جحيم بلادهم، ونحن أول من ستفكرون فيهم عند وصولكم إلى بلاد الغربة، إننا نعلم أنكم ستعذبون وستعانون كثيرا، ولكن إذا كتب لكم أن تجدوا ضالتكم وتعيشون سعداء، فسوف تنسوننا بكل تأكيد، واعلموا أن نحن المعذبون في الأرض، سنحترقكم لأنكم أنتم أيضا ستكونون معذبين مثلنا في ديار الغربة ولن تتمكنوا من الهروب قدر عليكم أنهم سوف يتعاملون من طرف الفرنسيين بالهمجية والجهل.

ومن هنا أدركوا أن لهم وطن ولأنهم ظلوا أجنبيين في غير وطنهم، ومنذ ذلك اليوم تعجلوا بالعودة إلى بلادهم لما كانوا يعيشون فيه فهموا إلى ركبوا القطار إلى مرسيليا، ثم سافرت بهم الباخرة إلى الجزائر وقيل لهم بأن أهل مرسيليا كانوا يقولون بلطف وبلهجة ساخرة قوله : " أنت عد إلى بلادكم يا أيها المسلمون"[2] فاعلموا أن الجزائر بلادنا أجمل من فرنسا (مرسيليا).

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 224.

[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 153.

الآخر العنصري:

العنصرية هي : "تفريق أو استثناء أو تغيير أو تفصيل مبني على الجنس أو اللون أو النسب أو الأصل القومي أو العرق أو الدين أو اللغة، وترمي كلها إلى إضعاف الإعتراف بالحقوق الإنسانية والحريات السياسية والإستمتاع بها وممارستها في كل المجالات"[1] ومن المواضيع التي تحتوي على دلالات العنصرية وتحفيز للأنا ورفضه نذكر ظاهرة الشتم ووصف الإنسان بمواصفات الحيوان وهي ظاهرة تدل على شخصية الآخر وتظهر وجها آخر من صورته وتسمى هذه الظاهرة بالعدوان اللفظي الذي هو: "استجابة طبيعية للمكونات الشخصية الداخلية التي تظهر في صورة الغضب والإنفعال، ومن ثم تتحول إلى ألفاظ الشتم والسب المنحطة"[2] وهو ما تجسد في معاملة الفرنسيين السيئة للأنا (المهاجرين القبائل) بقول الكاتب : "عد إلى بلادك يابيكو"[3] هي كلمة كان ينادي بها الفرنسيون المهاجرين من شعوب مستعمراتهم، وتعني صغيرة المعزة، وكذلك قوله : " عد إلى بلادك أيها الفأر الصغير "[4] وكذلك أن الفرنسيين يسخرون منه لقولهم : "أنت عائد إلى بلادك يا إبن المسلمة"[5] نلاحظ في هذا المقطع أن شخصيات الآخر أكثر شراسة وحقدا على الأنا وكما نجد أن الشتم قد امتزجت بذات الآخر ولا تتجزأ عنه ، ونرى أيضا أن الآخر لقد وجه الشتائم للأنا و محاولة

[1] محمد عاشور، التفرقة العنصرية، مكتبة المهتدين، القاهرة، مصر، د.ط، 1986، ص 6.

[2] مسعود شكري وآخرون، صورة الآخر الإسرائيل في رواية المتشاؤل لايميل حبيبي إضاءات نقدية ، طهران، إيران، ع 26، 2017، ص 106.

[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 121.

[4] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 122.

[5] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 123.

تحقيرها والتقليل من شأنها وكرامتها ذلك من خلال استعمال ألفاظ الشتم (كالفأر الصغير والبيكو) وغيرها من الشتائم فهي ميزة سلبية، ومن بين الأساليب التي اعتمدها الآخر على الأنا : كالصراخ ،السخرية، الأمر، الحقد.

ومن ناحية أخرى نجد شخصية أعمر يعلن رفضه للآخر ،فهو يرى في المهاجر كيانا مزعجا وآخر غير مرغوب فيه وهذا ما نلقاه في المقطع الدال على ذلك : " إن مهاجري شمال إفريقيا من أمثالنا كانوا يعاملون أينما ذهبوا معاملة خاصة هناك، في فرنسا أغنياء وفقراء وفيها اللصوص والمتسكعون أما نحن فلا ننتمي إلى أية فئة من هذه الفئات، لما الاستياء من حالتنا ما دمنا فعلا نعتبر من سكان شمال إفريقيا المحرومين، كثير من الناس ينظرون إلينا نظرة احتقار ونحن نعرفهم جيدا بطبيعة الحال، ولكي نستفزهم أكثر نتظاهر بالغباوة" [1] فنستنتج من هذا المقطع على احتقار الآخر للأنا ورفضه بشكل مطلق.

وكذلك كما وردت الاحتقار والعنصرية قوله : "لقد تحررنا من كل القيود ما عدا احتقار الفرنسيين لنا، لكن ذلك الاحتقار لم يكن يؤثر في معنوياتنا " [2] بمعنى أن الفرنسيين ورفضهم للأنا بسبب الأصل، العرق والجنسية ومن ناحية الدين واللغة.

وكذلك قوله : " فرد علي بلهجة محتقرة و قال فعلا منظر جميل، لكن المؤسف أن العرب كثيرون على تلك الأرض"[1] وأيضا قوله : " أتريدون العطف علينا ؟ سوف أطرح

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 120.

[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 121.

عليكم سؤالا واحدا بسيطا يا سادة : لماذا تريدون العطف علينا على وجه الخصوص؟ إذا كنتم تهتمون بنا فلأنكم ترونا متسكعين وأوغاد، قولوها صراحة، لا لأننا من شمال إفريقيا، إن أمثالنا من المهاجرين يا سادتي، هم بشر كسائر البشر وليسوا آفة اجتاحت فجأة مدينتكم الكبيرة نحن لا نختلف عن سائر الشعوب... عن الإيطاليين أو عن السويسريين أو عن البورجوازيين"[2] ويحيل هذا المقطع على مظهر من مظاهر العنصرية الذي قام على المفاضلة بين الأوروبيين والعرب، والسبب يرجع إلى أصولهم العرقية.

ومنه يمكن القول أن العنصرية هي نتيجة لإحتقار الآخرين واستغلالهم وعدم المساواة بينهم على أساس العرق أو اللون أو السلالة، إذ أنها النظرة الدونية للجنس الآخر.

الآخر المسيحي:

نتطرق الحديث عن الآخر المسيحي الذي هدفه محو الشخصية والهوية الجزائرية ومحو الدين الإسلامي ليحل محله المسيحي، ونهب ثروات وخيارات أرض الأنا واستيلاء عليها كامل، من أجل محو الأنا الجزائرية كليا من الوجود، وكما اتخذ عدة طرق منها التنصير أي إخراج المجتمع الجزائري من دينه وهذا بإغرائه وإرغامه على اعتناق الديانة المسيحية التي تضمن له الحصول على نفس الحقوق التي يتمتع بها المجتمع الفرنسي في قوله : "ألا ترون أن سلوك الرهبان والراهبات سلوك مثالي يقتدى به والأعمال الخيرية التي

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 124.

[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 120 – 121.

يقومون بها تجاه جهال من مثل أهل القرية خير دليل على أنهم أفضل من هؤلاء المرابطين الذين توقرونهم وتؤمنون بانتمائمهم وتضعونها على أرقابكم وتتجاهلون عيوبهم وأخطائهم وتلاعبهم بالساذجين منكم هيا كونوا موضوعيين، لقد آن الأوان أن تستفيقوا من سباتكم "[1] يبين هذا المقطع اختلاف الرهبان والمرابطين في سلوكاتهم.

وكذلك لقوله : " إن الطائفة الكاثوليكية في قرية أث واضوا كثيرة العدد بل تمثل أكثر من نصف عدد سكانها لكنك لا تكاد تفرق بين المسيحي الكاثوليكي والمسلم طيلة أيام الأسبوع عدا في أيام الأحد، حيث يلتقي رجال ونساء وأطفال الحي السفلي كلهم في وقت العصر لأداء صلواتهم وشعائرهم الدينية في معبد دير الراهبات" [2] وبما أن الدين الإسلامي دين أخلاق ودين مسامحة فإن المسلمين لم يرد على المسيحيين بإعتبار أنهم المسيحيين لا يتحكمون في أنفسهم ويفقدون السيطرة عليها وهذا لكثرة المسلمين وقلة المسيح وهذا في قول الكاتب : " أما المسلمون فكانوا يلتزمون الصمت, وكانوا يتغامزون فيما بينهم دون أن يردوا على استفزازات خصومهم، ولو أرادوا الرد لقالوا لهم : " إن عقيدتنا بريئة إذا ما أذنب مرابطونا، تذكروا أن القساوسة الرهبان لم يكونوا أحسن سيرة ولا أقوم سلوكا في تاريخ المسيحية من المرابطين المسلمين"، إلا أنهم كانوا يفضلون الصمت، وكان المسيحيون يفقدون أعصابهم أثناء المناقشات لأنهم أقل عددا أما المسلمون فهم على قناعة بأنهم على

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 18 – 19.

[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 17.

صواب ولذلك كانوا يصمتون وحينها ينتاب المسيحيين الشك أن المسلمين هم فعلا على حق"[1].

ونستخلص أن الإستعمار الفرنسي بعد احتلاله للجزائر لم يحترم الديانة الإسلامية وذلك عند استيلائه على المساجد والمؤسسات وهدمها دون احترام المشاعر الدينية للسكان وهذا ما تعتبره دافعا من دوافع التبشير الذي تعددت وسائله ومظاهره، وهذا في قول الكاتب : "إن ذهبية تعرف كل ذلك وكثيرا من الأمور الأخرى فهي تعلم أيضا أن أبناء طائفتها حينما يعمدون في الكنيسة تطلق عليهم أسماء مسيحية يوزعها عليهم الآباء البيض بسخاء مثل"ماري" و"جون" وخصوصا "أوغستن" و"مونيك" لأنها أسماء معتمدة في البلاد البربرية ومع ذلك فهم يحافظون على أسمائهم المتداولة في بلاد القبائل مثل محمد وآعلي ورابح وسعيد ويتنادون بها بكل حرية"[2]

وقد بين لنا "مولود فرعون" في روايته الدروب الشاقة أن أهالي القرية يشهدون بالله وحده لا شريك له، وأن محمد عبده ورسوله في قوله : "لا إله إلا الله" [3] وكما يؤمنون بالقضاء والقدر في قوله : " لكن الزواج قضية مكتوب"[4] أن قرية إغيل نزمان قرية يكثر فيها دين الإسلام فيؤمنون بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 19.
[2] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 20.
[3] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 99.
[4] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 42 – 43.

ونلاحظ أيضا أن هناك من كان مرتدا عن الإسلام كقوله : "و مما يحكيه أهل القرية عن هذا الشخص أنه ما أن دخل إلى المسيحية حتى فاجأه أحد الآباء البيض وهو يصلي مع المسلمين في المسجد. فقال له الأب : أأنت الذي كنت تؤدي الصلاة البارحة مع المسلمين في المسجد ؟

نعم، يا أبي!

ولكنك لم تعد متدينا بالاسلام" [1]

إذن نجد أن الإستعمار الفرنسي لم يحترم الديانة الإسلامية باستيلائه على المؤسسات الدينية كالمساجد، المدارس واللغة والعادات وكل الوسائل التي مارسها المستعمر للقضاء على الثقافة الجزائرية.

[1] مولود فرعون، مرجع سابق، ص 19 – 20.

الخاتمة

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة النقدية لهذا الموضوع البحثي، فإننا نخلص إلى جملة من النتائج النهائية، والتي نعرضها وفق الآتي:

- تعدد الأفكار والآراء بين الفلاسفة والمفكرين في تحديد مصطلح واحد للأنا والآخر.
- نتجت ثنائية الأنا والآخر بسبب الصراع القائم بين الشعوب المختلفة، وذلك بسبب الاختلاف الديني، و العقائدي، والفكري.
- يمثل بطل الروائي" أعمر" نسخة عن بعض الشباب المقتنعين بأن الهجرة إلى فرنسا هي الحل الأمثل للهروب من معاناتهم في وطنهم الأم.
- استطاع الروائي أن يتيح لنا معايشة تفاصيل حياته تؤرق الأنا بعد انتقالها إلى فضاء الآخر، فضاء الاغتراب، فلولا هذا الانتقال لما عرفت الأنا هويتها وقيمة وطنها، فالغربة ليست سوى صورة أخرى للوطن حيث كان العيش **هناك** والتأثر بأنماط الحياة الجديدة جعلتها تصنع لنفسها هوية جديدة لإيجاد مكان لها وسط مجتمع يأبى الإعتراف بها.
- إدراك الأنا أن "أوروبا هي الجنة" مجرد أكذوبة من الأكاذيب وأن الحل لا يأتي من خارج الهنا.
- ساهمت الأديان السماوية في إثراء النص الروائي من خلال تحريك أحداث الرواية حيث نجد تفاعلا بين الدين الإسلامي مع الديانات الأخرى كالمسيحية.

– أظهرت لنا الرواية وجهين لصورة الآخر يتمثل الأول في الآخر العنصري الذي لا يقبل بمشاركة أحد في أرضه، أما الثاني فيتمثل في الآخر المسيحي الذي حمل النظرة الدونية للأنا المسلم استغلالا واحتقارا واستعلاء عنه.

الملحق

الملحق :

1. التعريف بالروائي :

1.1. حياته :

مولود فرعون كاتب جزائري ولد في الثامن مارس سنة 1913 بتيزي هيبل بولاية تيزي وزو، وهو إبن فلاح، كان الإسم الحقيقي لعائلته آيت شعبان فرغم إنتماءه إلى عائلة أمازيغية فقيرة، إلا أن كفاحه المتواصل جعله أحد أكبر المؤلفين الجزائريين وأحد شهداء الثورة التحريرية.

ففقره لم يمنعه من التفوق في تعليمه ودراسته، فهو قد إلتحق بالمدرسة الإبتدائية في سن السابعة من عمره سنة 1920، ودرس بمدرسة توريرت موسى حيث كان يقطع مسافة طويلة إلى مدرسته في ظروف صعبة تحت ضغط الإستعمار الفرنسي، وبعدها خاض العديد من الصراعات، وإستطاع بفضل مثابرته وإجتهاده الحصول على منحة دراسية سمحت له بالإلتحاق بالمدرسة الثانوية وتخرج من دار المعلمين ببوزريعة عام 1932.

بعد تخرجه عاد إلى قريته ووظف فيها كمعلم عام 1935، ثم إنتقل إلى توريرت موسى عام 1946، قبل أن يعين رئيساً للدراسات التكميلية في الأربعاء ناث إيراثن سنة 1952، ثم مديراً لمدرسة بالعاصمة في 1960، أنضم إلى مصلحة مركز Tillon ذلك

الهدف التربوي في خدمة الجزائريين المعوزين، واجه الرجل سياسة التمييز العنصري التي اتبعها المستعمر الفرنسي في جميع مجالاته، ناضل بفكره وقلمه، ومن أقواله الشهيرة : "أكتب باللغة الفرنسية وأتكلم بالفرنسية لأقول للفرنسيين انني لست فرنسياً"، وعليه كتاباته بالفرنسية بمثابة رد فعل على الفرنسيين، الذين يصرون على أن الجزائر لا هوية لها ولا تعتبر أمة أو مجتمعاً.

توفي مولود فرعون في مقر عمله، أين كان منهمكاً مع بعض زملاءه بقضيته وذلك سنة 1962 على يد عصابة منظمة للجيش السري الفرنسي، كانت تمارس جرائم الإختطاف ليلاً ونهاراً.

1.2. أعماله :

لم يختص مولود فرعون بالتأليف في جنس أدبي واحد أو ميدان واحد بل تنوع إنتاجه بين مقالات وروايات وأشعار ورسائل نشرت على صفحات المجالات آنذاك وهي كالآتي :

أ. الروايات :

- ابن الفقير (Fils de pauvre) : شرع في كتبتها سنة 1939 لتصدر عام 1950، صور من خلالها الشعب الأمازيغي الذي ينتمي إليه.
- الأرض والدم [La terre et le sang] : صدرت عام 1939 بدار النشر الفرنسية Seuil تناول من خلالها موضوعي الهوية والشرف.

- أيام قبائلية : صدرت سنة 1954 صور المؤلف من خلالها الحياة اليومية في القرى الأمازيغية.
- مدينة الورود : طبعت سنة 2007, جسدت فكرة إستحالة التعايش بين الجزائريين والفرنسيين.
- الدروب الوعرة [Les chemins qui montent] : صدرت عام 1957 عن دار النشر الفرنسية Seuil فرق من خلالها بين ثقافة المستعمر وثقافة الجزائريين.

ب- الأشعار : ألف مولود فرعون عدة أشعار ضمها إلى أشعار سي محند أومحند طبعت سنة 1960.

ج- الرسائل : كانت رسالة موجهة إلى أصدقائه وقد طبعت سنة 1962.

د- المقالات : جاءت مقالات مولود فرعون باللغة الفرنسية كالآتي :

-L'institeur du bled Algérien

-Le désaccord Sur.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

* القرآن الكريم.

أولاً المصادر :

1. مولود فرعون : الدروب الشاقة، تر. حسن بن يحي، دار تلانتيقيث للنشر، ط4، بجاية، 2016.

ثانياً المراجع :

أ. المراجع العربية :

- أحمد ياسين السليماني : التجليات الفنية لعلاقة الأنا والآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، د.ت.
- أحمد البرقاوي : الأنا، دمشق، د.ط، 2005.
- أحمد أبو سعد : فن القصة، ج1، منشورات دار الشرق الجديدة، 1959.
- أسماء العريف بياتريكس : الآخر والجانب الملعون، ضمن كتاب صورة الآخر العربي.
- أمل نصير : صورة المرأة في الشعر الأموي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2000/04/01.

- إبن رشد : تلخيص ما بعد الطبيعة لأرسطوطاليس، تحقيق عثمان أمين، القاهرة مصر، 1958.
- إدوارد الخراط : الرواية العربية واقع وآفاق، ط1، دار إبن الرشد، 1981.
- بدوي طيانة : قضايا النقد الأدبي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الهيئة الشمة لمكتبة الإسكندرية، ر 809، د.ط، 1404 – 1984.
- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، 2011/11/02.
- الجرجاني الشريف : كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983، نسخة رقمية مطبوعة للمطبوع أطلع عليه بتاريخ 19 جانفي 2015.
- حسين العويدات : الآخر في الثقافة العربية (من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين)، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
- حسن شحاتة : الذات والآخر في الشرق والغرب (صور ودلالات واشكاليات)، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2008.
- حسين عليان : البطل في الرواية العربية في بلاد الشام منذ الحرب العالمية الأولى حتى 1973، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مطبعة الجامعة الأردنية، ط1، عمان، 2001.

- حيدر علي إبراهيم : صورة الآخر المختلفة فكرياً (سوسيولوجية الاختلاف والتعصب) ضمن كتاب صورة الآخر العربي ناظراً ومنظور إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2008/09/30.
- علي البطل : الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، د.ط، 2016/11/25.
- عبد الله الغذامي : النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)؛ المركز الثقافي العربي، شارع جان دارك بناية المقدسي، لبنان، بيروت، ط1، 2005.
- عزيزة مرحين : القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1971.
- عمرو عبد العلي : الأنا والآخر (الشخصية العربية والشخصيات الاسرايلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر)، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2005.
- عبد الجليل حليم : الفلاحون المغاربة في الاثنولوجيا الكولونيالية بين الجمود وقابلية التحسن ضمن كتاب : صورة الآخر العربي لبين وآخرون، ناظراً ومنظور إليه، دراسات الوحدة العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
- لزهر مساعديه : نظرية الإغتراب من المنظورين العربي والغربي، دار الخلدونية، القبة، الجزائر، د.ط، 2013.
- محمد نور الدين أفاية : الغرب المتخيل صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2، 2000.

- ميجان الرولي و د. سعد البازعي : دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثر من تسعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً)، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط5، 2007.
- محمد عاشور : التفرقة العنصرية، مكتبة المهتدين، دار الإتحاد العربي للطباعة، القاهرة، مصر د.ط، 1986.
- محمد حسين فضل الله : تحديات المهاجرين بين الأصالة والمعاصرة، دار الملاك، ط1، 2000.
- ماجدة حمود : اشكالية الأنا والآخر (نماذج رواية عربية)، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 2013.
- مصطفى الصاوي الجويني : في الأدب العالمي القصة، الرواية، القصة والسيرة، منشأة المعارف الإسكندرية، 2002.
- مسعود شكري وآخرون : صورة الآخر الإسرائيلي في رواية المتشائم لإميل جيبي (إضاءات نقدية، طهران، إيران، ع.26، 2017.
- محمد صابر عبيد : جماليات التشكيل الروائي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012.
- ماجدة حمود : صورة الآخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010.

- محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث، ج1، نهضة مصر، القاهرة ط1، 1973.
- مهنا يوسف حداد : أكثر الصورة ذاتية في الموقف العربي من دول إسرائيل بإشراف الطاهر لبيب وآخرون ضمن كتاب صورة الآخر العربي ناظراً ومنظور إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
- ميلا دحنا : قبول الآخر فكر وإقتناع وممارسة، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998.
- ميجان الرولي و د. سعد البازعي : دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط5، 2007.
- **محمد خضر سعاد : الأدب الجزائري المعاصر ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1967.**
- **محمد الصديق بسيس : ما أعطاه الإسلام للمرأة كاف وكفيل بأن يحسن التجارب والنكسات** ، د ط، د ت.
- **مرتاض عبد المالك : في نظرية الرواية، دار الغرب د.ط ، 1970/01/01.**
- سمير سعيد حجازي : النقد العربي وأوهام رواد الحداثة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2005.
- سعاد حرب : الأنا والآخر والجماعة في فلسفة ساترو مسرحة، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1994.

- سعد فهد الذويخ : صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتب الحديث للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2009.
- سعد البازعي : إستقبال الآخر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 2004.
- الطاهر لبيب : صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه، دراسات الوحدة العربية، الجمعية العربية لعلم الإجتماع، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
- **دلال البزري : الآخر : المفارقة الضرورية، ضمن كتاب صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه**، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، دط، 2008/09/30.
- اليمين بن تومي : النصو الإجراء من النقد النسقي إلى النقد الثقافي، جامعة سطيف.
- يحي العبد الله : الإغتراب (دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلول الروائية)، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004.
- يحي الجبوري : الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان، دار مجد اللاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008.

ب. المراجع المترجمة :

- **دانييل هنري باجو : الأدب العام والمقارن ، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2008.**

- J.M. Moura : L'Europe litteraire et l'ailleurs، presses universitaires de france، 1988.
- أرثر أيزا برجر، وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى : النقد الثقافي (تمهيد مبدأ للمفاهيم الرئيسية)، ر 603 شارع الجبلاية بالأوبرا الجزيرة، القاهرة، مصر د.ط، د.ت.
- سيجموند فرويد : الأنا والآخر، تر. محمد عثمان نجاتي، دار الشروق الإسكندرية، ط4، 1982.
- هيجل : فيمنولوجيا الفكر، ترجمة وتعليق : مصطفى صفوان، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 1981.
- باختين ميخائيل : الملحمة والرواية، ترجمة وتقديم : جمل شحيذ، كتاب الفكر العربي, بيروت، د ط، 1982.
- العربي عبد الله : الإيديولوجيا العربية المعاصرة، تر. محمد عثمان، دار الحقيقة، بيروت، د.ط، 1970.
- ايغوركون : البحث عن الذات، دراسة في الشخصية ووعي الذات، تر غسان أدب نصر منشورات، دار المهن للنشر والتوزيع، دمشق، د.ط، 1992.

ثالثاً : المعاجم

- الجميل صليبا : المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب، بيروت، لبنان، د.ط، 1982.

- الجوهري : معجم الصحاح، إعتنى به خليل مأمون شيخا، دار المعرفة، لبنان، ط3، 2008.
- إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، محمد علي النجار : المعجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول، د.ط، 1972.
- إبن منظور : قاموس لسان العرب، إنتاج المستقبل للنشر الإلكتروني، بيروت، إصدار عام 1995, برمجة وتنظيم : طراف خليل طرف مادة "روي" نقلاً عن تبعة دار صادر، بيروت، 1995.
- إبن منظور : لسان العرب، مادة صور ج8، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، 1999.
- إبن منظور : لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مجلد 8، ط1، 2001.
- إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا، ط2، 1972.
- عبد الله البستاني : البستان، معجم لغوي مطول، مكتبة لبنان، ط1، 1995.
- بطرس البستاني : محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، المكتبة الوقفية المصورة، دط، 1970.
- الخليل أحمد الفراهيدي : كتاب العين، ج1، تر : عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003.

- محمد مصطفى زيدان : معجم المصطلحات النفسية والتربوية، دار الشروق للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2004.
- لويس معلوف : المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق والمكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، ط3، 1991.
- مجدي هبة : معجم المصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، د.ط، 1974.

رابعاً : الرسائل الجامعية

- محمد كمال سرحان : الذات والآخر في رواية (حب في كوبنهاجن) لمحمد بلال، دكتوراه في الأدب الحديث، جمهورية مصر العربية، مجلة جامعة ناصر،ع6، م1، 2015.
- حيناً معزي : حوار الأنا والآخر في رواية كتاب الأمير مسالك حداد لواسيني الأعرج، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجيستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2010-2011.
- صفية بوزوايد : صورة الآخر في رواية رجالي لمليكة مقدم، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، جامعة بسكرة، الجزائر، 2016-2017.
- سميرة لحلوح وكاتية مالا : الآخر في الرواية الجزائرية إبن الشعب العتيق لأنور بن مالك، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، جامعة بجاية، الجزائر، 2012-2013.

- د. نسيمة لعداوي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه "ترجمة الصورة البلاغية في الرواية الجزائرية، رواية مولود فرعون الدروب الشاقة أنموذجاً"، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2017.
- فتحي إبراهيم : المعجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للنشر المتحدين، تونس، 1988 نقلاً عن صالح مفقودة، صورة المرأة في الرواية الجزائرية رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2001-2002.

خامساً : المجالات

- مجلة الأقلام، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1986.
- مجلة المخبر البحث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 7، 2011.
- مجلة جامعة دمشق، سوريا، ع1 و 2، 2011.
- مجلة جامعة ناصر، جمهورية مصر العربية، ع6، 2015.
- مجلة الآداب، العدد الثاني، 2014.
- مجلة قراءات، د ت.

سادساً : المقالات

- عبد الحميد قاوي : الصورة الشعرية قديماً وحديثاً، ديوان العرب للثقافة والفكر والأدب، الجمعة 29 أغسطس، 2008.
- حميد قبايلي : الصورة الشعرية بين إبداع القدم وإبتداع المحدثين، تاريخ النشر : 2009/12/16, د.ص، الموقع Stortimes.com، 23/06/2021 00:24
- **لعموري زاوي : إزدواجية اللغة في أدب رشيد بوجدرة د ت**

  https://ouvrages..crasc.dz
- سميرا سطيفوشبلا : الذات بين الفردانية والجماعية والشخصانية، تاريخ النشر : 2013/08/10 20:30 pulpit-alwatanvoice.com

سابعاً : المواقع الإلكترونية

- www.que:edushomesr7-iyadamanci
- www.diwanalarab.com
- https://www.elakhare.com

ملخص الرواية

تحكي هذه الرواية على قصة اجتماعية وغرامية بين بطلي الرواية أعمر وذهبية ولكن تنتهي بمآساة موت أعمر.

وعند سماع ذهبية بخبر وفاته شكل لها صدمة أدخلتها في دوامة من التعاسة والحزن والهم، فنجدها قد خلقت لنفسها عالم الخيال فقامت بقراءة مذكرات أعمر وأخذت تسبح داخل الذكريات وتبتسم معها تارة وتعبس وتبكي تارة أخرى.

أما من خلال ما عاشته من حزن وهم في حادثة مقتل حبيبها أعمر إلا أن هناك أبغض رجل إلى قلبها هو مقران الذي يحتقرها فهو الذي قتل أعمر لإسترجاع شرفه وشرف زوجته لتنتهي الرواية بنهاية تعيسة جداً.

الفهرس:

كلمة شكر وتقدير
إهداء
مقدمة 01
الفصل الأول : تحديد المفاهيم
مفهوم الصورة لغة 06
مفهوم الصورة إصطلاحاً 09
مفهوم الأنا لغة وإصطلاحاً 20
مفهوم الآخر لغة وإصطلاحاً 32
صورة الأنا والآخر 43
الفصل الثاني: ظاهرة صورة الأنا والآخر في رواية الدروب الشاقة
تجليات صورة الأنا في الرواية 53
تجليات صورة الآخر في الرواية 95
الخاتمة 106
الملحق
قائمة المصادر والمراجع
الفهرس